بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة أم درمان الإسلامية

كلية الدراسات العليا

كلية اللغة العربية

قسم الدراسات الأدبية والنقدية

نزعة الزهد في الشعر الأندلسي

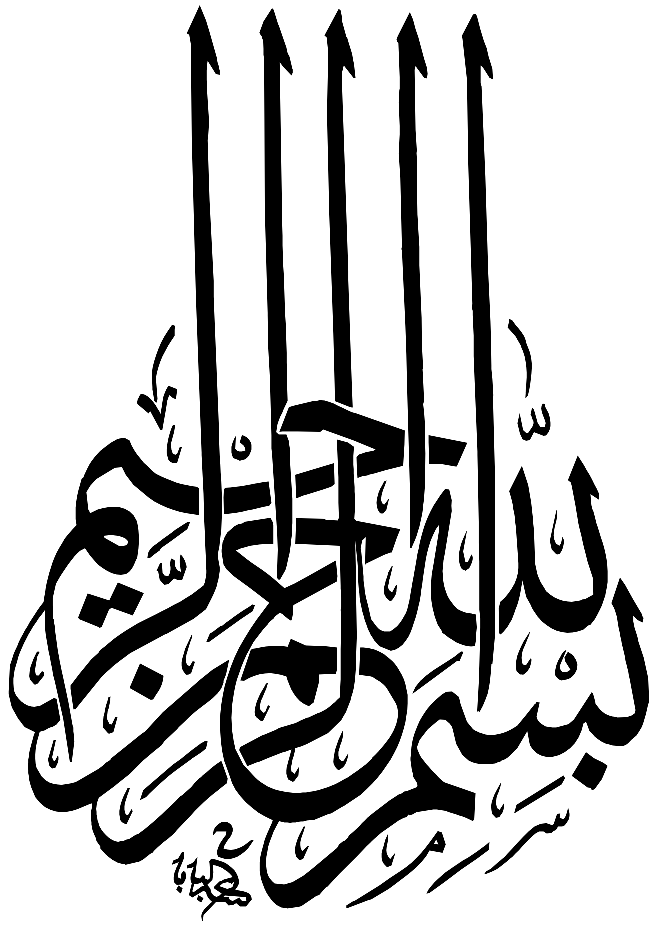
[من الفتح إلى نهاية الدولة]
(دراسة تحليلية)

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الأدب والنقد

إعداد الطالبة/ مشاعر عباس أحمد عوض السيد

إشراف الدكتور/ عبد الرحمن عطا المنان محمد

١٤٣١هـ-٢٠١٠م


بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ
بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ
ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي
ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا
ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ٢٠﴾.

صدق الله العظيم.

(سورة الحديد، الآية ٢٠).

الإهداء

إلى والدي ووالدتي . . . براً وخفض جناح . .

وإلي شريك دربي .

وإلى أخواني وأخواتي .

وإلي الضياء الذي انبثق ليضيء طريقي،

ويعطر مساحات حياتي . . . فلذات كبدي

أهدي هذا الجهد المتواضع

الباحثة

الشكر والتقدير

الشكر في البدء لله سبحانه تعالى الذي وفقني في إخراج هذا البحث بهذه الصورة وهذه نعمة تستوجب الحمد والشكر وهو القائل (لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ [1].)

كما أتقدم بالشكر والتقدير لإدارة جامعة أم درمان الإسلامية التي يسرت لي مواصلة البحث لنيل درجة الماجستير .

والشكر موصول للدكتور عبد الرحمن عطا المنان الذي أشرف علي هذا البحث ورعاه بعلمه ووقته ونصائحه جزاه الله خيراً .....

والشكر أجزله للعاملين بمكتبة جامعة أم درمان الإسلامية ومكتبة جامعة القرآن الكريم .

(١) سورة إبراهيم الآية (٧)

المقدمة

سبحان من خص الإنسان بالنطق المبين فسما به فوق المخلوقات الأخر والصلاة والسلام علي أفصح من نطق بالعربية وخير البشر وبعد .

فاللغة العربية لها من الفضل والميزات ما جعلها تتفوق علي سائر اللغات ولا خفاء، أنها أمتن اللغات، وأوضحها بياناً، وأذلقها لساناً، وأعذبها مذاقاً، ومن ثم اختارها الله سبحانه وتعالى لأشرف رسله وختام أنبيائه، وأنزل بها كتابه المبين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

عاش الأدب العربي في الأندلس نحو ثمانية قرون ، وتأثر بتلك البيئة التي عاش فيها، وأثر في بيئته وما جاورها من بيئات . وليست تلك القرون الطويلة بالزمن الهين في تأريخ أدب، وليست الأندلس ببيئتها الطبيعة وظروفها الاجتماعية والسياسية بالشيء الذي يمكن إغفاله. ومن هنا وجدت العناية بدرس هذا الأدب تقديراً لآثار إقليمية لها فاعليتها في حياة هذا الأدب، ثم وجبت العناية بدرسه أيضاً توضيحاً لنفحات عربية إسلامية حملت إلي بعض الآداب الاروبية أريجها العطر.

أسباب اختيار الموضوع : تتمثل الأسباب في الأتي :

١/ حبي الشديد للأدب عامة، وللشعر بصفة خاصة، وميلي الشديد للشعر الديني.

٢/ ما للأدب العربي من دور في دراسة اللغة العربية وبيان أسرارها.

أهمية الموضوع : تتمثل أهمية الموضوع في الأتي : .

١/يسهم في الكشف عن أسرار ومعاني الزهد .

٢/ علاقته الوطيدة بالتراث العربي الأندلسي .

٣/جمع مادة البحث وتنظيمها وترتيبها ترتيباً علمياً يتفق مع روح البحث العلمي .

منهج البحث :

اتبعت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي.

أهداف البحث : . تتمثل الأهداف في الأتي : .

١/ التمكن من المادة وذلك للإسهام في أداء دوري لخدمة لغة القرآن الكريم .

٢/تحقيق بعض المسائل البلاغية وتوضيح الشواهد .

الدراسات السابقة ذات الصلة بالموضوع :

حرصاً مني علي شمول هذا البحث وذكر جهود السابقين فقد اطلعت علي بعض الرسائل فوجدت ما هو مرتبط بهذه الدراسة مثل .

رسالة دكتوراه بعنوان الأخلاق الإسلامية في الأدب الأندلسي .

الصعوبات التي واجهت الباحثة : تتمثل في الآتي :

١/طبيعة البحث تحتاج إلي نوع من الدقة والجهد الكبير لكي أصل إلي دراسة مفيدة.

٢/ صعوبة شرح وتحليل الأبيات الشعرية .

هيكل البحث :ـ

ينقسم البحث إلي مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة .

الفصل الأول : **الزهد في الشعر**.

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : معني الزهد لغةً واصطلاحاً.

المبحث الثاني : موقع الزهد في الرؤية الدينية للحياة.

المبحث الثالث : تطور شعر الزهد في العصر الأموي .

المبحث الرابع : اكتمال شعر الزهد ونضجه في العصر العباسي .

الفصل الثاني : **البيئة الأندلسية وأثرها في ظاهرة الزهد**

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول : طبيعة الأندلس وجغرافيته البشرية

المبحث الثاني : كثرة علماء الشريعة وقوة سلطانهم علي الخلفاء والعامة

المبحث الثالث : النزاع والتناحر القبلي والطائفي

المبحث الرابع : فناء الدول والمدن وأثره في الزهد

الفصل الثالث : **عناصر شعر الزهد عند الأندلسيين** :

وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : عدم الركون إلي الدنيا والتقليل منها

المبحث الثاني : فكرة الموت والدعوة للاستعداد له

المبحث الثالث : الخوف من الله واجتناب سخطه

المبحث الرابع : الحث علي العلم الديني والانصراف عن الملذات

المبحث الخامس : أخذ العبرة من تجارب الآخرين

الفصل الرابع : **الصورة الفنية في شعر الزهد عند الأندلسيين**

وفيه مبحثين.

المبحث الأول : عناصر الصورة الفنية في شعر الزهد عند الأندلسيين

المبحث الثاني: مصادر شعر الزهد (الاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف والأمثال)

الخاتمة وتشتمل علي أهم النتائج والتوصيات .

الفهارس وتشتمل علي الأتي :

١. فهرس الآيات القرآنية .

٢. فهرس الأحاديث النبوية .

٣. فهرس القوافي.

٥. فهرس الأعلام .

٦. فهرس المصادر والمراجع .

٧. فهرس الموضوعات

التمهيد

عن فنون الشعر واتجاهاته في الأندلس

من الظواهر التي تسترعي نظر الباحث في الشعر الأندلسي، ظاهرة شيوع(الشعر) بين عرب الأندلس علي اختلاف طبقاتهم. فالشعر في الأندلس لم يكن وقفاً علي الشعراء وحدهم، وإنما شاركهم في نظمه، وإلي حد الإجادة أحياناً، كثيرون من أهل البلاد، علي اختلاف أهوائهم ومشاربهم، وبعد ما بينهم وبين الأدب،من حيث أعمالهم وتخصصاتهم. وقلَّما خلت ترجمة أندلسي من شعر منسوب إليه، سواء أكان المترجم له أميراً، أو وزيراً، أو كان كاتباً، أو فقيهاً، أو نحوياً، أو فيلسوفاً، أو طبيباً أو غير ذلك.

وقد نظم الأندلسيون في جميع الشعر العربي وزادوا عليه بعض الفنون التي اقتضتها ظروف بيئتهم وأوضاع مجتمعهم.

ويمكن تقسيم هذه الفنون التي قالوا الشعر فيها إلي ثلاث مجموعات:

المجموعة الأولي: مجموعة الفنون التقليدية التي جاروا فيها شعراء المشرق وإن اختلفت طريقة التعبير فيها عنهم في بعضهم أجزائها.

وهذه الفنون هي: الغزل، المدح، الرثاء، الحكمة، الزهد، الاستعطاف، الهجاء، والمجون.

المجموعة الثانية: مجموعة الفنون التي لا تخرج عن كونها من الفنون التقليدية أيضاً، ولكنهم توسعوا بالقول فيها، لوجود مقتضيات هذا التوسع ودواعيه في مجتمعهم. وتتمثل هذه الفنون في : الحنين، شعر الطبيعية، رثاء المدن والممالك، والشعر العلمي.

المجموعة الثالثة: مجموعة الفنون الشعرية المحدثة التي لم يسبقوا إليها وهي: الموشحات والأزجال، وشعر الاستغاثة أو الاستنجاد(١).

وسأتناول هذه الفنون علي حسب ترتيبها. وأهم الشعراء الذين تحدثوا في هذه الأغراض.

كان كل شيء في بيئة الأندلس الجميلة يغري بالحب ويدعو إلي الغزل ومن ثم لم يكن أمام القلوب الشاعرة إلا أن تنقاد لعواطفها، فأحبت وتغزلت ثم خلفت وراءها فيضاً من شعر الغزل الرائع الجميل .ومن مواقف شعراء الأندلس بالنسبة للتجربة الغزلية نري اتجاهين ، اتجاه من اتخذوا الغزل طريقاً إلي اللهو والمتعة، واتجاه من تغزلوا بعيداً بالجمال ، واتخذوا من العفاف حائلاً يحول بينهم وبين الغواية . ومن الشعراء الذين مثلوا الاتجاه الأول أبو بكر يحيي بن بقي الأندلسي القرطبي.

---

(١) د. عبد العزيز عتيق : الأدب العربي في الأندلس: دار النهضة العربية : بيروت ص ١٦٧ – ١٦٨.

أما الاتجاه الثاني فكان يمثله أبو عمر بن محمد بن فرج الجياني . وأشهر من كتب في شعر الغزل في الأندلس هو ابن زيدون .

ومن كبار شعراء المديح ابن هاني الأندلسي، وأبن دّراج القسطلي وابن حمد يس الصقلي فقد خرج أكثر شعرهم في هذا الغرض .

أمـا الرثـاء فـإذا عـدنا لمراثـي الأندلسـيين بالدارسـة والفحـص، وجـدنا أن اتجاهات الشعراء ومذاهبهم فيها تختلف تبعاً لنزعة كل شاعر منهم في هذا الفن ، علاقته بالشخصيات التي يعرض لها بالرثاء فهناك الاتجاه الذي ينبع من العقل أكثر مما ينبع من القلب وهو الاتجاه الذي يمثله الوزير الكاتب الشاعر عبد المجيد بن عبدون وأبو العباس التطيلي الإشبيلي الضرير، ومن جاراهما من شعراء الأندلس. فالمرثية عند أصحاب هذا الاتجاه سيقت لتخفيف المصاب علي قلوب المصابين بالعظة والعبرة وذلك بضرب الأمثال بمن أبادهم الدهر وأفناهم في الغابر من الأمم والمماليك والملوك .

أما شعر الحكمة فنجده كثيراً في الأندلس ومن أكبر شعراء الأندلس في قول الحكمة هو أبو الصلت أمية بن عبد العزيز .

نري أربعة شعراء كباراً نظموا شعر الاستعطاف وأجادوا فيه وهؤلاء هم أبو الحسن جعفر بن عثمان المصحفي وابن عمار وابن زيدون وأبو عبد الله الغساني البجالي .

وأشهر من قال في الهجاء من شعراء الأندلس خلف بن فرج السميسر وأشهر من قال في المجون أبو عبيدة محمد بن مسعود فقد كان كما يقول ابن بسام ظريفاً في أمره كثير الهزل في نظمه ونثره، ينهج في مجونه منهج سِميه محمد بن حجاج بالعراق .

نجد أن الأندلسيين قد فاقوا المشارقة في شعر الطبيعة كماً وكيفاً ، وتوسعوا ونوعوا في موضوعاته توسعاً وتنوعاً فاق كل اعتبار ، كما أنهم كانوا فيه أكثر براعة وابتكاراً وتجديداً ودقة تصوير . وأكبر شعراء الطبيعة .. بالأندلس هو أبو إسحاق إبراهيم بن خفاجة الذي لقب بشاعر الطبيعة الأكبر .

من الفنون المحدثة في الأندلس فن الموشحات ويبدأ تأريخ النبوغ في التوشيح بعصر الطوائف في القرن الخامس وكان ذلك علي يد عبادة بن ماء السماء ثم خلفه ابن رافع، وأشتهر بعد هؤلاء في صدر دولة الموحدين محمد بن أبي الفضل ابن شرف وأبن هرودس وسابق هذه الحلبة الفيلسوف أبو بكر بن زهر وغيره.

أما الزجل فقد ذاع فنه وتعددت لهجاته بتعدد الأماكن التي نشأ بها، وأشتمل علي أنواع من الشعر كالغزل والوصف ، وكثيراً ما كان الزجل أصدق في التعبير عن النفوس من الشعر الفصيح لقربه من تعبير العامة .

وأول من أبدع في هذه الطريقة الزجلية ، أبوبكر بن قزمان، وكان لعهد الملثمين وهو أمام الزجالين علي الإطلاق. ويقال أول من أخترعه رجل يقال له

راشد، وكان لأبن قزمان فن الشهرة والتجويد، وعاصره محلف الأسود، وجاءت بعدهم حلبة مدغليس وبعدهم ظهر ابن جحدر بإشبيلية ، ثم أبو الحسن سهيل بن مالك، ثم ابن الخطيب، والألوسي. [1]

(١) د. عبد العزيز عتيق : الأدب العربي في الأندلس، بتصرف.

الفصـــــــل الأول

الزهد في الشعر

المبحث الأول

معني الزهد لغة واصطلاحاً.

معنــي الزهـد لغـة: الزهد والزهادة فـي الدنيا ولا يقال الزهد إلا فـي الدين خاصـة، والزهد ضد الرغبة والحرص علي الدنيا. وقوله عز وجل(وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ)[١] قال ثعلب[٢]: أشتروه علي زهد فيه. والزهيد الحقير[٣].

الزهد اصطلاحا: زهد مصطلح في التصوف الإسلامي، وهو صفة الزاهد(الجمع زاهدون وزهاد)

والزهد الكف: أولاً عن المعصية وعما زاد عن الحاجة، وترك ما يشغل عن الله عز وجل ثم الكف عن أمور الدنيا جميعاً بتخلية القلب والتقشف التام، وترك كل ما هو مخلوق، ومن ثم فإن المصطلح زهد، إذ يحل محل(نسك) المرادف لـه في النصوص القديمة، يدل بوضوح علي معني أوسع من القناعة(والقناعة هي الاعتدال وقمع شهوات النفس) [٤].

---

(١) سورة يوسف الآية (٢٠).

(٢) ثعلب: هو أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني مولاه أبو العباس ثعلب، ولد ٢٠٠هـ وتوفي ٢٩١هـ إمام الكوفيين في النحو واللغة وهو بغدادي، لـه معرفة بالقراءات، روي عن أبي العباس اليزيدي والأخفش (علي بن سليمان) وكان حجة ثقة. إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين عبدالباقي بن عبد المجيد اليماني، تحقيق د. عبد المجيد دياب، ص١ مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ١٩٨٦م، ص٥١.

(٣) ابن منظور: لسان العرب: دار صادر: ط١ ١٩٩٠م مادة زهد ج٧ص٦٨

(٤) أحمد الشنتاوي وإبراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد يون، دائرة المعارف الإسلامية: دار الفكر بيروت . لبنان: ج١٠ص٤٥١

جمع أبو سليمان الداراني أنواع الزهد كلها في كلمة فقال: هو ترك ما شغلك عن الله عز وجل. وقيل:قال: العلماء: الزهد قسمان: زهد مقدور وهو ترك طلب ما ليس عنده وإزالة ما عنده من الأشياء، وترك الطلب في الباطن.

وزهد مقدور وهو ترك أن يبرد قلبه من الدنيا الكلية فلا يحبها أصلاً.وإذا حصل للعبد القسم الأول يحصل الثاني أيضاً بفضله تعالي وكرمه.

قال السري[١]: الزهد ترك حظوظ النفس من جميع ما في الدنيا أي لا بفرح بشئ منها ولا يحزن علي فقده، ولا يأخذ منها إلا ما يعينه علي طاعة ربه أو ما أم في أخذه مع دوام الذكر والمراقبة والتفكير في الآخرة، وهذا أرفع أحوال الزهد إذ من وصل إليه إنما هو في الدنيا بشخصه فقط [٢].

---

(١) السري: هو أبو اسحاق إبراهيم بن السري بن سهل النحوي، أخذ عن ثعلب والمبرد، وكان إماماً في العربية من اهل الدين له كتاب معاني القرآن، توفي سنة ٣١١هـ، وقد بلغ من العمل فوق الثمانين، أنظر إشارة التعيين، ص١٢.

(٢) محمد التهانوي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم الجزء الأول صـ٩١٤-٩١٥.

المبحث الثاني

موقع الزهد في الرؤية الدينية للحياة

الزهد ظاهرة إسلامية خالصة استمدت أصولها من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ومرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالتصورات الإسلامية للكون والإنسان والحياة، وهو بهذا المنشأ لا علاقة له بالزهد في المسيحية أو البوذية، حيث الانقطاع عن الدنيا بشكل تام، وترك الزواج والتكسب وهو ما عارضه الزهد الإسلامي الذي يدعوا إلي الطهر والعفاف، وتهذيب النفس والإقبال علي الآخرة دون أن ينسي الإنسان نصيبه من الدنيا(١).

وقد سلك القرآن سبلاً متعددة في توجيهه إلي الزهد حيث صور.

الحياة الدنيا بزخرفها في كثير من الآيات، قال تعالى: (إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (٢) وقال تعالى: (اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي

---

(١) د.محمد عبد المنعم خفاجة: دراسات في التصوف الإسلامي: ج١ ، ص ٦٠.

(٢) سورة يونس : الآية (٢٤).

الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ)[١] والآيات في الباب كثيرة ومشهورة وكذلك صور القرآن الآخرة جنةً وناراً فقال: (مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وِظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ) [٢].

والسنة النبوية المطهرة وهي المصدر الثاني من مصادر الزهد الإسلامي، حيث كانت حياة النبي صلي الله وسلم ممثلة لهذا الزهد، في أقوال وأفعال ومعاشه وفي مأكله ومشربه وطاعته وعبادته، حيث أقبلت عليه الدنيا فأدبر عنها وخرج منها ولم يشبع من خبز الشعير. (وكان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم أدماً وحشوه ليف.) [٣] ومن خلال أحاديثه تعرض إلي تفاهة الدنيا حين قال(صلى الله عليه وسلم) (ألا إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالم ومتعلم)[٤].

وعن أنس، رضي الله عنه، أن النبي صلي الله عليه وسلم، قال: (اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة)[٥].

وعنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: (يؤتي بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة ثم يقال يا ابن آدم، هل رأيت خيراً قط؟ هل مربك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب. ويؤتي بأشد الناس بؤساً في الدنيا من

---

(١) سورة الحديد الآية (٢٠).
(٢) سورة الرعد : الآية (٣٥).
(٣) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده : ج٦ : ص٧٢.
(٤) أخرجه الإمام الترمذي في سننه : حديث رقم ٢٣٢٣، ج٤، ٥٦١.
(٥) أخرجه الإمام البخاري : كتاب الجهاد : باب البيعة في الحرب ، ج٢ ،ص ٣١٧.

أهل الجنة؟فيصبغ صبغة في الجنة،فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤسا قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا والله، ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط)[١]. والأحاديث أكثر من أن تحصر في هذا الباب.

ومن الصحابة الذين زهدوا في الدنيا الخلفاء الراشدون وعبد الله بن عمرو بن العاص إذ يجمع الرواة علي أنه شديد المجاهدة لنفسه، فكان يقضي الليل مصلياً والنهار صائماً. ومنهم حذيفة بن اليمان وأبو الدر داء الذي يروي عنه في الزهد عبارات مأثورة من مثل قوله: (أضحكني ثلاث وأبكاني ثلاث، أضحكني مؤمل الدنيا والموت يطلبه، وغافل ولا يغفل عنه، وضاحك ملء فيه، ولا يدري أساخط ربه أم راض. وأبكاني هول المطلع، وانقطاع العمل، وموقفي بين يدي الله لا يدري أيا مر بي إلي الجنة أم إلي النار)[٢] وعلي هذا النحو انتشرت موجة الزهد في صدور كثير من الصحابة الذين رافقوا زاهد الأمة وعابدها الأول: رسول الله صلي الله عليه وسلم وانتشرت معها كثير من المجاهدات والرياضات، وخاصة في الصوم والصلاة.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم : كتاب صفات المنافقين وأحكامهم – باب صبغ أنعم أهل الدنيا في النار ص١١٨١.

(٢) الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، طبعة مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٥م، ج٣، ص١٥١.

ووصف الحسن البصري فقال: (أدركت من صدور هذه الأمة قوماً كانوا إذا جنهم الليل فقيام علي أطرافهم، يفترشون وجوههم، تجري دموعهم علي خدودهم ، يناجون مولاهم في فكاك رقابهم)[١].

ولعل في ذلك كله ما يدل دلاله قاطعة علي أن رؤية الزهد رؤية إسلامية خالصة فقد دعا إليه القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وحركة الرهبنة في المسيحية وما يتصل بها من زهد معرفة، وقد كان لها أثرها في هذه النزعة، لا في وجودها ولا في تنشئتها ولكن في نموها من بعض الوجوه.

فالصحابة رضي الله عنهم بما علمهم الرسول صلي الله عليه وسلم أدركوا معني الحياة الدنيا وأنها ما هي إلا معبر للآخرة، فتعاملوا وفق هذا الإدراك ولم تكن يوماً سبباً في بعدهم عن الآخرة، والدنيا عندما تتغلغل في القلب وتسيطر عليه، فإنها تعميه لا شك عن الآخرة لذلك(نبذها رسول الله صلى الله عليه وسلم وراء ظهره هو وأصحابه، وصرفوا عنها قلوبهم، وطرحوها ولم يألفوها وهجروها ولم يميلوا إليها، وعدوها سجناً فزهدوا فيها حقيقة الزهد، ولو أرادوها لنالوا منها كل محبوب، ولوصلوا منها إلي كل مرغوب فقد عرضت عليه مفاتيح كنوزها فردّها،وفاضت علي أصحابه فآثروا بها ولم يبيعوا حظهم من الآخرة بها، وعلموا أنها معبر وممر وليست

(١) د. شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، طبعة دار المعارف، مصر، ١٩٦٥م، ص٥٧.

دار مقام مستقر، وأنها دار عبور لا دار سرور، وأنها بمثابة ضيف تتقشع عن قليل، وخيال طيف ما استتم الزيارة حتى أذن بالرحيل(١).

أم من فهمها علي أنها دار مقامة ومستقر، وأنها دار سرور لا دار عبور، وأنها سحابه شتاء لا سحابة صيف تتقشع، وغرق حتى أزينه في لعبها ولهوها وزينتها وتفاخرها، وتكاثر الأموال والأولاد فيها، فأنسته الآخرة والاستعداد لها، فإنها تتقلب غلي ظلمة معتمه، ذلك لأن الظلمة ضد النور، ومن كان في الظلام لا يبصر حقائق الأمور، فيظل في هذه الحياة كالأعمى لا يبصر مواضع قدمه فيقول يوم القيامة(قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً)(٢).فيرد الله عليه مذكراً له بظلمته الدنيوية التي أعمته عن رؤية الصراط السوي فيقول له: (قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى)(٣).

ويقول تعالى: (وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً) (٤).

---

(١) ابن القيم : الفوائد : طبعة دار النفائس، ص ١٢٣ -١٢٤.
(٢) سورة طه الآية (١٢٥).
(٣) سورة طه الآية (١٢٦).
(٤) سورة الإسراء الآية (٧٢).

المبحث الثالث

تطور الزهد في العصر الأموي

اتجه الشعر في العصر الأموي- بتأثر القرآن والحديث من ناحية، وظروف العصر من ناحية أخرى- إلي قيم إسلامية رفيعة تدعو إلي الزهد في الدنيا والإقبال علي الآخرة..... وترددت هذه المعاني في شعر الفرق الإسلامية،خاصة الخوارج الذين تعهدوا القرآن وعرفوا بالحفظ، وعرفوا بصدق جهادهم.

أهم إقليم انتشرت فيه موجه الزهد هو إقليم العراق وقد تأثر فيها بعناصر أجنبيه إذ نرى قتادة أحد زهادها وهو ينقل عن التوراة كما نرى الشعبي أحد عبادها ينقل عن عيسى ابن مريم عليه السلام. وقد يكون ذلك باتصال العراق بالرهبنة المسيحية، ومع ذلك فلم يكن صله بها من الشام ومصر، فلابد من أسباب أخرى دفعت أهله إلي اعتناق هذا الزهد والمبالغة فيه.

إن الحروب الداخلية الطويلة التي استمرت طوال عصر بني أمية هي التي أعدت لذلك، فإن بعض من خسروا هذه الحروب ولم يستطيعوا اقتناص الدنيا من أيدي الأمويين تحولوا إلي الزهد فيها، ووضعوا أمانيهم في الآخرة وما وعد الله به عباده المتقين.

ولا ريب في أنه كان لظلم ولاة بني أمية وتعسفهم مع العراقيين أثر في ذلك، ويكفي أن نعرف أن الحجاج قتل- فيما يقال- صبراً وغيلة، مائة ألف وعشرين،

وغيره من ولاة العراق مثل خالد القسري ويوسف بن عمر لم يبلغوا في القتل مبلغه، ولكنهم كانوا أيضاً قساة ظالمين. ولم يكن لدي الناس أمام هذا الظلم وتلك القسوة وما استولي علي نفوسهم من فزع وخوف إلا أن يعتصموا بحبل الله وينصرفوا عن متاع الدنيا إلي متاع الآخرة. هذا كله طبع نفسيه كثير من الشعراء في العصر الأموي بطوابع جديدة لم تكن مألوفة في العصر الجاهلي، عصر الوثنية، لسبب بسيط وهو أن الشعر تعبير النفس، وهو يتأثر بكل ما يؤثر في النفس من ظروف طبيعيه.

ماديه، أو روحيه معنوية فالشعر الأموي كتب في ظلال نفسيه جديدة آمنت بربها واستشعرت حياة نقيه صالحه،فيها نسك وعبادة وفيها تقوي – وزهد. ويكفي أن نتصفح ديوان شاعر كالفرزدق الذي أشتهر بفسقه واستهتاره لنعرف انه لم ينفصل من الإسلام وأنه تأثر به، فقد حضر هو والحسن البصري جنازة زوجه النوار، فقال له الحسن وهو بإزاء القبر: (ماذا أعددت لهذا المضجع؟ قال شهادة ألا إله الله منذ ثمانين سنه، فقال له الحسن هذا العمود أين الطنب؟ فقال في الحال(١):

أَخافُ وَراءَ القَبرِ إِن لَم يُعافِني *** أَشَدَّ مِنَ القَبرِ اِلتِهاباً وَأَضيَقا

إِذا جاءَني يَومَ القِيامَةِ قائِدٌ *** عَنيفٌ وَسَوّاقٌ يَسوقُ الفَرَزدَقا

لَقَد خابَ مِن أَولادِ دارِمَ مَن مَشى *** إلي النار مغلول القلادة موثقاً

---

(١) د. شوقي ضيف : التطور والتجديد في الشعر الأموي: ص ٥٨-٥٩.

إذا شَــرِبوا فيهــا الصَــديدَ رَأَيــتَهُم *** يَــذوبونَ مِــن حَــرِّ الصَــديدِ تَمَزُّقــا

يقــاد إلــي نــار الجحــيم مســربلاً *** ســـرابيل قطـــران لباســـاً محرقـــاً

ويروي أنه قيد نفسه، وآلي أن لا ينزع القيد من رجله حتى يحفظ القرآن ولعل من الطريف أن نجد في ديوانه قصيدة يهجو فيها إبليس، ومن قوله فيها:

أَلَــم تَرَنــي عاهَــدتُ رَبّــي وَإِنَّنــي *** لَبَـــينَ رِتـــاجٍ قـــائِمٌ وَمَقـــامِ

عَلـى قَسَـمٍ لا أَشـتُمُ الـدَهرَ مُسـلِماً *** وَلا خارِجــاً مِــن فِــيَّ ســوءَ كَــلامِ

أَطَعتُـكَ يـا إِبلـيسُ سَـبعينَ حِجَّـةً *** فَلَمّــا اِنتَـــهى شَــيبي وَتَــمَّ تَمــام

فَــرَرتُ إِلــى رَبّــي وَأَيقَنــتُ أَنَّنــي *** مُـــلاقٍ لِأَيــّـامِ المَنـــونَ حِمـــامي

أَلا طـالَ مـا قَـد بِـتُّ يوضِـعُ نـاقَتي *** أَبو الجنـِّ إبيسٌ بِغَيرِ خِطامِ[1]

يَظَلُّ يُمَنّيني عَلى الرَحلِ فارغاً *** يَكـــونُ وَرائـــي مَـــرَّةً وَأَمـــامي

يُبَشِّـــرُني أَن لَـــن أَمـــوتَ وَأَنَّـــهُ *** سَـــيُخلِدُني فـــي جَـــنَّةٍ وَسَـــلامِ

قـال عبـد الله بـن عبـد الأ علـي بـن عمـرة الشـيباني يخـوف مـن الموت[1].

(١) شوقي ضيف، التطور والتجديد، ص٦٢-٦٣.

تجهزي بجـهاز تبلغين بـه *** يـا نفـس قبـل ألـرَّدي لـم تخلقـي عبـثاً

وســـابقي بغتـــة الآجـــال وانكمشـــي *** قبــل اللـــزوم فـــلا منجـــي ولا غـــوثا

ولا تكـــــدّي لمـــــن يبقـــــي وتفـــري *** إن ألـــرّدي وارث البـــاقي ومـــا ؤرثـــا

واخشي حوادث حرف الدهر في مهل *** واستيقظي لا تكوني كالذي بحتا

وقال سابق البربري يحذر من الموت ويدعوا إلي التقوى والعمل الصالح

تأ وبني هـمُّ كـثير بلابله * طـروقاً فقال النوم غوائله

فو يحي من الموت الذي هو واقع * وللموت باب أنت لا بد داخله

أيا من ريب الدهر يا نفس واهـن * تجيش لـه بالمفزعات مراجله

فلم أر في الدنيا وذو الجهل غافل * أسيراً يخاف القتل واللهو ثاغله

فما باله يغدي من المـوت نفسه * وبأمن سيف الدهر والدهر قاتله

---

(١) د. حسين عطوان، نصوص من الأدب الأموي، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط٢٠٠٦م، ص٣٨٩-٣٩١.

المبحث الرابع

اكتمال شعر الزهد في العصر العباسي :ـ

لم يكن المجتمع العباسي منحلاً أسلم نفسه للإلحاد والزندقة فالإلحاد والزندقة إنما شاعا في طبقة محدودة من الناس كان جمهورها من الفرس، كانت موجة المجون أكثر حدة، ولكنها لم تكن عامة في المجتمع، بل كانت خاصة بالمترفين ومن حولهم من الشعراء والمغنين. أما عامة الشعب فإنها لم تكن تعرف زندقة ولا مجوناً، أما من حيث الزندقة فإنها لم تكن تعادي الإسلام وصاحبه، بل كانت مسلمة حسنه الإسلام تهدي بأضوائه وتجري علي سننه، وأما من حيث المجون فأنها لم تكن مترفة ولا ثرية، بل كانت تعيش علي الكفاف، بل كان كثير منها بعيش في البؤس والضنك والضيق وقلوبه تتقطع حسرات علي ما تحظي به الطبقة المترفة من أسباب النعيم.

وكانوا ساخطين سخطاً شديداً علي كل ما يرونه حولهم من جموح الأهواء والإمعان في المجون، وهو سخط اتسع في أيام الفتنه بين الأمين والمأمون حتى حوصرت بغداد واستطال شر المجّان والعهّار،وظلت من ذلك بقية في سنتي (٢٠١و٢٠٢هـ)فإذا جماعات كبيرة تتطوع تنكيراً عليهم والأخذ علي أيديهم.

وإذا كانت حانات الكرخ ودور النخاسة والمقينين به اكتظت بالجواري والإماء والقيان والمغنين، فإن مساجد بغداد كانت عامرة بالعباد والنساك وأهل التقوى والصلاح،

وكان في كل ركن منها حلقة لواعظ يذكر باالله واليوم الآخر وما ينتظره الصالحين من النعيم المقيم والعاصين من العذاب والجحيم.وكان من الوعاظ من يقتحم قصر الخلافة ليعظ الخلفاء علي نحو ما هو معروف عن عمرو ابن عبيد في وعظه للمنصور وصالح بن عبد الجليل في وعظه للمهدي وأبن السماك في وعظه لهارون الرشيد ومن كلامه:(الدنيا كلها قليل، والذي لك من الباقي قليل، ولم يبق من قليلك إلا القليل)(١).

أبرز من تحدث في هذا الميدان من شعراء الزهد أبو العتاهية (ت سنة ٢١١هـ)،الذي أفرد ديواناً فسيح الجنبات لهذا الموضوع، وشقق معانيه وفرعها، وسلك بها سبلاً فجاجاً وطرقاً قددا. وسلك ابنه محمد، طريق أبيه في الزهد.

وكان لمحمود الوراق(ت سنة ٢٢٥هـ) نصيب كبير في هذا الميدان.. وقال في هذا الموضوع شعراء آخرون منهم الخليل بن أحمد (ت سنة ١٧٠)، وابن المبارك(ت سنة ١٨١هـ) وإن كان ما وصل إلينا عنهم إلا نتفاً يسيرة .

وأتيحت لأبي نواس الشاعر التائب بقية من عمره أحسن فيها قولاً في الزهد والوعظ والتذكير بالآخرة .. وأسهم في هذه المعاني كذلك شعراء التصوف والحب الإلهي. (٢)

---

(١) د. شوقي ضيف: العصر العباسي الأول ط دار المعارف ، ص٨٣ –٨٤.

(٢) د.مجاهد مصطفى بهجت التيار الإسلامي في الشعر العصر العباسي الأول ط وزارة الأوقاف والشئون الدينية العراق ١٩٨٢م ص ٥١٤.

يتناول موضوع الزهد في الشعر العباسي معان إسلامية كثيرة تحث علي ترك الدنيا والزهد فيها بذمها، والإقبال علي الطاعة من أجل الآخرة والتذكير بالموت والقبور، والترغيب في الجنة والتخويف من النار.

وشعراء الزهد في العصر العباسي بدأوا وأعادوا في هذه المعاني... فذموا الدنيا وكشفوا عن زيفها، وذكروا بما ينبغي ويحسن صنعه لبلوغ الباقية من طاعات وأعمال صالحة.

يقول الأصمعي، أول شعر قيل في ذم الدنيا قول أبن حذاق:

هَل لِلفَتى مِن بَناتِ الدَّهرِ مِن واقِ *** أَم هَل لَهُ مِن حِمَامِ المَوتِ مِن رَاقِ

قَد رَجَّلُونِيَ وَما رُجِّلتُ مِن شَعَثٍ *** وَأَلبَسُونِي ثِياباً غَيرَ أَخلاقِ

هَوِّن عَلَيكَ وَلا تَولَع بِإِشفاق *** فَإِنَّما مالُنا لِلوارِثِ الباقي

فالدنيا ليست بذات شيء، ولن يبقي لك فيها شيء فلذلك لا ينبغي أن يتعلق بها أهلها، وليست الدنيا عند عبد الله المبارك إلا ذميمة، مشابه بأمر من الحنظل،ومصائبها الجندل وهي مسمومة مقترنة بالهموم، وكل ما فيها زائل:

همومُك بالعيش مقرونةٌ *** فما تقطعُ العيش إلّا بهم

إذا كُنتَ في نِعمَةٍ فَارعَها *** فَإِنَّ المَعاصي تُزيلُ النِعَم

وَكَم قَدَرٍ دَبَّ في غَفلَةٍ *** فَلَم يَشعُرِ الناسَ حَتّى هَجَم

حلاوةُ دنياك مسمومةٌ *** فما تأكلُ الشهدَ إلّا بسَم(١)

(١) د.مجاهد مصطفى بهجت التيار الإسلامي في الشعر العصر العباسي الأول، ص٥١٦.

وصاحب الدنيا تراه حريصاً مهموماً، ذليلاً فقيراً في شغل وسعي دائم كما يراه محمود الوراق:

كَفَلَـــت لِطالِـــبِ الـــدُنيا بِهَـــمٍّ *** طَويلٍ لا يَؤولُ إِلى اِنقِطاعِ

وَذُلٍّ فـــي الحَيـــاةِ بِغَيـــرِ عِـــزٍّ *** وَفَقرٍ لا يَدُلُّ عَلى اِتِّساعِ

وَشُـــغلٍ لَـــيسَ يَعقُبُـــهُ فَـــراغ *** وَسَعيٍ دائِمٍ مَع كُلِّ ساعِ

وَحِـــرصٍ لا يَـــزالُ عَلَيـــهِ عَبـــداً *** وَعَبدُ الحِرصِ لَيسَ بِذي اِرتِفاعِ(١)

ويستفيض أبو العتاهية في وصف الدنيا والإبانة عن زيفها وبهرجها، وضالة شأنها وذمها، وفي شعره ثروة زاخرة تصور الدنيا تصويراً يوافق المفهوم الإسلامي عند زهاد العصر، فالدنيا ليست بذات قرار وخلود، سريعة الزوال خائنة غادرة، لكنها علي ما عيب عليه فإنها حسنة إذا أطيع الله فيها وابتغي بها الآخرة، ولذلك يحث علي الأخذ منها لآخرتنا ، وليس لنا فيها إلا الطاعة والاستقامة والتقوى ولقد فاق أبو العتاهية بهذه الكثرة من ثروته الشعرية ، وبهذا التنوع والتلون في معانية، شعراء العصر العباسي الأول أجمعين وتجاوزهم في تدفق شاعريته وغزارتها ، وجودة واتفاق معانيه ، بل عدّ من أكبر شعراء الزهد في عصورنا الأدبية.

---

(١)محمود بن حسن الوراق، ديوانه ص١٠٦.

يصف أبو العتاهيه الدنيا في سرعة زوالها فيجعلها كالسراب والظل فيقول:

هَـل تَـرى الـدُنيا بِعَينَـي بَصـيرٍ *** إِنَّمـا الـدُنيا تُحـاكي السَـرابا

إِنَّمـا الـدُنيا كَفَـيءٍ تَـوَلّى *** أَو كَمـا عايَنـتَ فيـهِ الضَـبابا

أَبَـتِ الـدُنيا عَلـى كُـلِّ حَـيٍّ *** آخِـرَ الأَيّـامِ إِلّا ذَهابـا[1]

واقترنت دعوة أبي العتاهيه إلي الطاعة والزهد والتقوي بحديثه عن الموت، فالعمل الصالح ينبغي ألا يفوت أحداَ لأن الدار زائلة لا محالة ، والموت مدركها ولن يفلت منه أحداً،فعلينا مادام الأمر كذلك أن نوحد الله تعالي قبل أن نعود إليه:

أَلا إِنَّنـا كُلَّنـا بائِـدُ *** وَأَيُّ بَنـي آدَمٍ خـالِدُ

وَبَـدؤُهُمُ كـانَ مِـن رَبِّهِـم *** وَكُـلٌّ إِلـى رَبِّـهِ عـائِدُ

فَيـا عَجَبـا كَيـفَ يُعصـى الإِلَـ *** ـهُ أَم كَـيفَ يَجحَـدُهُ الجاحِـدُ[2]

ويحذرنا المعاصي والخطايا صغيرة وكبيرة فيقول:

يـا رُبَّ شَـهوَةِ سـاعَةٍ قَـد أَعقَبَـت *** مَن نالَها حُزناً هُناكَ طَـويلا

فَـإِذا دَعَتـكَ إِلـى الخَطيئَـةِ شَـهوَةٌ *** فَاِجعَل لِطَرفِكَ في السَماءِ سَبيلا

---

(١) د.مجاهد مصطفى بهجت التيار الإسلامي في الشعر العصر العباسي الأول، ص٥١٩-٥٢٢.

(٢) أبو العتاهية، أشعاره وأخباره، ص١٠٢-١٠٤.

وَخَــفِ الإلَــهَ فَإِنَّــهُ لَــكَ نــاظِرٌ *** وَكَفــى بِرَبِّــكَ زاجِــراً وَسَــئولا[١]

وقال أيضاً:

لِــدوا لِلمَــوتِ وَابنــوا لِلخَــرابِ *** فَكُلُّكُــمُ يَصــيرُ إِلــى ذَهــابِ

لِمَــن نَبنــي وَنَحــنُ إِلــى تُــرابٍ *** نَصــيرُ كَمــا خُلِقنــا مِــن تُــرابِ

كَأَنَّــكَ قَـد هَجَمـتَ عَلـى مَشـيبي *** كَمـا هَجَـمَ المَشـيبُ عَلـى شـبَابي

وَيــا دُنيــايَ مــا لــي لا أَرانــي *** أَســومُكِ مَنــزِلاً إِلّا نــبا بــي

أَلا وَأَراكَ تَبــذُلُ يــا زَمــاني *** لــي الــدُنيا وَتَســرِعُ بِاِســتِلابي

وَإِنَّــكَ يــا زَمــانُ لَــذو صُــروفٍ *** وَإِنَّــكَ يــا زَمــانُ لَــذو اِنقــِلابِ[٢]

وقد نال أبو نواس (ت سنة ١٩٨هـ) – بعد توبته في خاتمة عمره – الخوف من الموت فأكثر من ذكره والتذكير ، فالموت لا بد منه، والكل سيفنى إلا الله تعالي ، والبقاء في الدنيا قليل، فكأن المنايا ستصيبك بسهمها فأستعد لها ، والدهر يطلبه على عجل، وأيامه تقربه وتدنيه من أجله، والموت صار قريباً فقال[٣]:

(١) د.مجاهد مصطفى بهجت التيار الإسلامي في الشعر العصر العباسي الأول، ص٥٢٩-٥٣٠

(٢) د. شكري فيصل، أبو العتاهية أشعاره وأخباره، ص٣٣.

(٣) د.مجاهد مصطفى بهجت، التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول، ص٥٢٣

المَـــــوتُ مِنّـــــا قَرِيـــــبٌ *** وَلَـــــــيسَ عَنّـــــا بِنـــــازِحِ

فـــــي كُـــــلِّ يَـــــومٍ نَعـــــيٌّ *** تَصيحُ مِنهُ الصـــوائِح

حَتّـــى مَتـــى أَنـــتَ تَلهـــو *** فـــــي غَفلَـــــةٍ وَتُمـــــازِح

وَالمَـــــوتُ فـــــي كُـــــلِّ يَـــــومٍ *** فـــــي زِنـــــدِ عَيشِـــــكَ قـــــادِح[1]

---

(١) أبونواس: الديوان، ص٦١٤ وزهدياته، ص٧٤.

الفصل الثاني

البيئة الأندلسية وأثرها في

ظاهـــــرة الزهـــــد

المبحث الأول

طبيعة الأندلس وجغرافية البشرية :ـ

محاسن الأندلس لا تستوفي بعبارة ومجاري فضلها لا يشق غباره لحسن هوائها واعتدال مزاجها واشتمالها علي كثير من المحاسن.

قال ابن سعيد[(١)]:

(إنما سميت بالأندلس تبن طوبال تبن يافث ابن نوح، لأنه نزلها، أن أخاه سبت ابن يافث نزل العدوة المقابلة لها وإليه تنسب سبته[(٢)].

قال: (وأهل الأندلس يحافظون علي قوام اللسان العربي لأنهم إما عرب أو متعربون).

وقال الوزير لسان الدين بن الخطيب في بعض كلام له أجري فيه ذكر البلاد الأندلسية ما نصه:(خص الله تعالى بلاد الأندلس من الريع وغدق السقيا، ولذادة الأقوات وفراهة الحيوان ودرور الفواكه، وكثرة المياه وتبحر العمران وجودة اللباس وشرف الآنية، وكثرة السلاح وصحة الهواء وابيضاض ألوان الإنسان، ونبل الأذهان

---

(١) هو علي بن موسي عبد الملك بن سعيد العنسي، الأندلسي، الغرناطي المغربي(أبو الحسن) أديب،شاعر، لغوي، رحاله، مؤرخ، ولد بغرناطة، ورحل إلي المشرق، فدخل دمشق والموصل وبغداد ومصر، وسكن تونس من تصانيفه المغرب في حلي المغرب.

عمر رضا كحاله: معجم المؤلفين جـ٢ صـ٦٣٥ ط١٩٩٣ مؤسسة الرسالة

(٢) سبته: بفتح السين وسكون الباء بلدة مشهورة علي بر البربر تقابل الأندلس.

وفنون الصنائع، وشهامة الطباع ونفوذ الإدراك وإحكام التمدن والاعتماد بما حرمه الكثير من الأقطار مما سواها).

قال أبو عامر السالمي[١] في كتابة المسمي ب(درر القلائد وغرر الفوائد) الأندلس من الإقليم الشامي، وهو خير الأقاليم وأعدلها هواءً وتراباً وأعذبها ماءً .

وأطيبها هواءً وحيواناً ونباتاً وهوا وسط الإقليم وخير الأمور أوسطها[٢]).

قال أبو عبيدة البكري(الأندلس شامية في طبيعتها وهوائها يمانية في اعتدالها واستوائها،هندية في عطرها وذكائها، أهوازية في عظم جبايتها، صينية في جوهرها معادنها عدنية في منافع سواحلها فيها آثار عظيمة لليونانيين أهل الحكمة وحاملي الفلسفة وكان من ملوكهم الذين أثروا الآثار بالأندلس هرقلس، وله الأثر العظيم في الصنم بجزيرة قادس وصنم جليقة الأثر في مدينة طركونة[٣] الذي لا نظير له.

قال المسعودي[٤]:بلاد الأندلس مسيرة عمائرها ومدنها نحو شهرين، ولهم من المدن الموصوفة نحو من أربعين مدينة).

قال الحجاري في موضع من كتابه: (إن طول الأندلس من الحاجز إلي أشبونه[١] ألف ميل ونيف).

---

(١) هو أبو عامر محمد بن أحمد بن عامر السالمي له مؤلفات في الأدب والحديث والتاريخ ، من كتبه درر القلائد وغرر الفوائد

(٢) المقري: نفح الطيب جـ١ صـ١١٧–١١٨ تحقيق يوسف الشيخ البقاعي ط دار الفكر بيروت لبنان.

(٣) طركونه: مدين متصلة بأعمال طرطوشه تقع علي شاطئ البحر علي بعد خمسين ميلاً من لارده.

(٤) مروج الذهب ج١ صـ١٦٢

ومسافة الحاجز الذي بين بحر الزقاق والبحر المحيط أربعون ميلاً وهذا عرض الأندلس عند رأسها من جهة الشرق ولقلته سميت جزيرة،وإلا فليست بجزيرة علي الحقيقة لاتصال هذا القدرة بالأرض الكبيرة وعرض جزيرة الأندلس في متوسطها عند طليطلة ستة عشر يوماً واتفقوا علي أنها جزيرة مثلثة الشكل واختلف في الركن الذي في الشرق والجنوب في حيز أربونة(٢).

وإن هذه المدينة تقابلها برذيل التي في الركن الشمالي فمن قال إنه في أربونة وإن هذه المدينة تقابلها مدينة برذيل التي في الركن الشرقي الشمالي أحمد ابن محمد الرازي وابن حيان وفي كلام غيرهما أنه في جهة أربونة، وحقق الأمر الشريف،وهو أعرف بتلك الجهة لتردده في الأسفار براً وبحر إليها(٣)

قال الشيخ أحمد بن محمد بن موسي الرازي(٤):(بلد الأندلس هو آخر الإقليم الرابع إلي المغرب،وهو عند الحكماء بلد كريم البقعة طيب التربة خصب الجناب منبجس الأنهار الغزار، والعيون العذاب معتدل الهواء والجو والنسيم وربيعة وخريفه ومشتاه ومصيفة علي قدر من الاعتدال، تتصل فواكهه أكثر الأزمنة وتدوم متلاحقة

---

(١) اشبونة: هي لشبونة عاصمة البرتغال

(٢) أربونة: آخر ما استولي عليه العرب من جهة المشرق.

(٣) المقري: نفع الطيب ج١ صـ ١١٨-١١٩

(٤) هو أحمد بن محمد بن موسى بن بشير حماد بن لقيط الرازي الكناني القرطي(أبو بكر مؤرخ أديب، شاعر كثير الرواية ولد بالأندلس سنة ٢٧٤هـ وتوفي ٣٤٤هـ.معجم المؤلفين ص ٣٠٠ مرجع سابق.

غير مفقودة، أما الساحل منه ونواحيه فيبادر بباكورة وأما الثغر وجهاته والجبال المخصوصة ببرد الهواء فيتأخر بالكثير من ثمرة، فمادة الخيرات بالبلد متمادية في كل الأحيان، وفواكهه علي الجملة غير معدومة في كل أوان. له خواص في كرم النبات توافق في بعضها أرض الهند المخصوصة بكرم النبات وجواهره.منها أن المحلب- وهو المقدم في الأفاويه والمفضل في أنواع الأشنان- لا ينبت بشيء من الأرض إلا بالهند والأندلس.

وللأندلس المدن الحصينة والمعاقل المنيعة،والقلاع الجزيرة والمصانع الجليلة، ولها البر والبحر، والسهل الوعر وشكلها مثلث.

وقال: الأندلسي أندلسان في اختلاف هبوب رياحها ومواقع أمطارها وجريان أنهارها: أندلس غربي، وأندلس شرقي، فالغربي منها ما جرت أوديته إلي البحر المحيط الغربي، ويمطر بالرياح الغربية ومبتدأ هذا الحوز من ناحية المشرق مع المفازة الخارجة مع الجوف إلي بلد شنتمرية(١) طالعاً إلي جوز إغريطة المجاوزة لطليطلة مائلاً إلي الغرب ومجاورا للبحر المتوسط الموازي لقرطاجنة التي من بلد لورقة(٢) والحوز الشرقي المعروف بالأندلس الأقصى، وتجري أوديته إلي الشرق، وأمطاره بالريح الشرقية،وهو من حد جبل البشكنس هابطاً مع وأدي إبره إلي بلد شنتمرية ومن جوف هذا البحر وغربه المحيط وفي القبلة من البحر الغربي الذي منه

---

(١) مدينة: في الأندلس من مدن أشبونة، وهي أتقن حصون بنبلونة بنياناً.

(٢) من بلاد تدمير إحدي المعاقل السبعة التي عاهد عليها تدمير، وهي كثيرة الزرع والخمر.

يجري البحر المتوسط الخارج إلي بلد الشام، وهو البحر المسمى ببحر تيران ومعناه الذي يشق دائرة الأرض. ويسمى البحر الكبير[1].

وأول من سكن بالأندلس علي قديم الأيام فيما نقله الإخباريون من بعد عهد الطوفان علي ما يذكر عجمها قوم يعرفون ب(الأندلش) معجمة الشين بهم سمي المكان فعرب فيما بعد بالسين غير المعجمة كان الذين عمروها وتناسلوا فيها وتداولوا ملكها دهراً، علي دين التمجس والإهمال والإفساد في الأرض ثم أخذهم الله بذنوبهم فحبس المطر عنهم ووالي القحط عليهم، وأعطش بلادهم حتى نضبت مياها وغارت عيونها ويبست أنهارها وبارت أشجارها فهلك أكثرهم وفر من قدر علي الفرار منهم، فاقفرت الاندلس منهم وبقيت خالية فيما يزعمون مائة سنه وبضع عشرة سنه وذلك من حد بحر الغرب الأخضر، وكان عدة ما عمرتها هذه الأمة البائدة مائة عام وبضع عشرة سنه. ثم أبتعث الله لعمارتها الأفارقة، فدخل إليها بعد إقفارها تلك المدة الطويلة قوم منهم أجلاهم ملك إفريقية تحققاً منهم لإمحال توالي علي أهل مملكته، وتردد عليهم حتى كاد يفنيهم فحمل منهم خلقاً في السفن مع قائد من قبله يدعي (أبطريقس) فأرسلوا بريف الأندلس الغربي، واحتلوا (جزيرة قادس) فأصابوا الأندلس مغتبطين وسكنوها معتمرين[2] وتوالدوا فيها فكثروا واستوسعوا في عمارة الأرض ما بين الساحل الذي أرسوا فيه بغربيها إلي بلد الفرنجة من شرقيها ونصبوا

---

(١) المقري: نفح الطيب ج١ صـ١٢١.

(٢) معتمرين: أي يريدون عمارة البلاد.

من أنفسهم ملوكاً عليهم ضبطوا أمرهم وتوالوا علي إقامة دولتهم وهم مع ذلك علي ديانة من قبلهم من الجاهلية، وكانت دار مملكتهم طالقة الخراب اليوم من أرض أشبيلية، اخترعها ملوكهم وسكنوها فاتسق ملكهم بالأندلس مائة وسبعة وخمسين عاماً إلي أن أهلكهم الله تعالى، ونسخهم بعجم رومه، بعد أن ملك من هؤلاء الأفارقة في مدتهم تلك أحد عشر ملكاً ثم صار ملك الأندلس غلي عجم رومه وملكهم (أشبان بن طيطش) وباسمه سميت الأندلس(اشبانية) وذكر بعضهم أن اسمه(أصبهان)

فأحيل بلسان العجم،وقيل: بل كان مولده(بأصبهان) فغلب أسمها عليه وهو الذي بني أشبيلية، وكان اشبانية اسماً خالصاً لبلد (أشبيلية) الذي كان ينزله(أشبان) هذا، ثم غلب الاسم بعده علي الأندلس كله فالعجم الآن يسمونه إشبانية لآثار أشبان هذا فيه وكان أحد الملوك الذي ملكوا أقطار الدنيا فيما زعموا، وكان غزا الأفارقة عندما سلطه عليهم في جموعه(١).

المبحث الثاني

كثرة علماء الشريعة وقوة سلطانهم علي الخلفاء والعامة :ـ

كانت كلمة عالم تنصرف عادة إلي الفقهاء، ولم يكن الفقيه عالم دين وحسب، وإنما كان عادة واسع الثقافة متشعب ألوان المعرفة، آخذاً من كل منها بطرف، له مشاركة. في الأدب من شعر ونثر، ولكن الصفة العلمية الأولي التي يتحلي بها

---

(١) المقري: نفح الطيب ج١ ص١٢١-١٢٢.

كانت الصفة الفقهية، وكان الأندلسيون إذا أرادوا تكريم أمير عظيم أطلقوا عليه لقب فقيه،ومعني ذلك أنه كان علي الأمراء أنفسهم أن يتفقهوا في علوم الدين حتى يجمعوا بين الاحترام الرسمي الذي يحصلون عليه بحكم كونهم أمراء. وبين الإكبار الاجتماعي الذي يكتسبونه باعتبارهم فقهاء .لقد حرص كل أمير من أمراء الأندلس علي مختلف الأزمنة وتباين الدول علي أن يكون في مستوي من الثقافة الدينية تسمح له بمجالسة الفقهاء الذين كانوا في العادة زينة مجالس الأمراء ومستشاريهم، وكانت ثقافة هؤلاء الملوك والأمراء تدفع بهم علي الأغلبية إلي احترام العلماء وإجلالهم ووضعهم الكريم الذي يليق بهم.

ولكن ذلك في حد ذاته أمر غير كافي، فإذا لم يحافظ العالم نفسه علي كرامته ويستمسك بأسباب الاحترام فإنه قد يأتي من الأمراء والحكام من لا يقيم له وزناً، ولذلك فإن العلماء كانوا ينتزعون احترام السلطان لهم انتزاعا باحترامهم لعلمهم ومعرفة مكانة أنفسهم من السلطان مهما علا قدره وجل خطره، وتبعاً لذلك أصبح العالم يوجه إلي أخطر ملوك الأندلس فضلاً عن عامتهم من أسابب النصح وأساليب الزجر إذا اقتضي الأمر ما لم يسبق له مثيل في تاريخ الحياة الثقافية الإسلامية.

لقد وضح سلطان العلم وعظمة العلماء منذ أول عهد الأندلس بالاستقرار ودخول عبد الرحمن بن معاوية، ولقد كان عبد الرحمن نفسه علي قوته لا يستطيع أن يثني عالماً عن أمر يمت علي مصلحة الناس بسبب، وحدث أن أراد ذات مرة

التدخل لدي القاضي عبد الرحمن بن طريف اليحصبي في شأن قضية لصالح أحد أعوانه وأمره بالتالي في إصدار الحكم فما كان من القاضي العظيم إلا أن أسرع في نظره القضية وإصدار حكمه مقروناً بالنفاذ في حضور مجموعة من الفقهاء، وزاد علي ذلك أن وجه لوماً إلي عبد الرحمن قائلاً: أيها الأمير ما الذي يحملك على أن تتحامل لبعض رعيتك علي بعض.

وكان موضوع القضية ضيعة مختلف علي ملكيتها، فلم يجد الأمير بداً أن صدر الحكم بغير صالح ضيعته أن يشتري الضيعة بماله ويهديها للرجل الذي حكم القاضي ضد(١).

وخطة القضاء بالأندلس هي من أعظم الخطط عند الخاصة والعامة لتعلقها بأمور الدين، وكون السلطان لو توجه عليه حكم حضر بين يدي القاضي، هذا وصفها في زمان بني أمية، ومن سلك مسلكهم، ولا سبيل أن يتسم بهذه السمة إلا من هو دال للحكم الشرعي في مدينة جليلة، وأن كانت صغيرة فلا يطلق علي حاكمها إلا مسدد،خاصة، وقاضي القضاء يقال له، قاضي قضاة الجماعة(٢).

وسأورد قصة أشهر قاضي قضاة وفقيه في عصر بين أمية في الأندلس وهو القاضي منذر بن سعيد البلوطي وقصته مع الوالي عبد الرحمن الناصر.

---

(١) مصطفي الشكعة : الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه ، دار العلم للملايين ، ص ٩٧ –٩٨.

(٢) المقري : نفح الطيب: تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، طبعة دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان ١٩٤٩م ، ص ٢٠٣.

كـان الناصـر كلفـاً بعمـارة الأرض إقامـة معالمهـا، وانبسـاط مجاهلهـا، واستجلابها من أبعد بقاعها، وتخليد الآثار الدالة علي قوة الملك وعزة السلطان وعلو الهمة فأفضي به الإغراق في ذلك إلي أن ابتني مدينة الزهراء البناء الشائع ذكره، الذائع خبره، المنتشر صيته في الأرض واستفرغ جهده في تنميقها، وإتقان قصورها، وزخرفه مصانعها،وأنهمك في ذلك حتى عطل شهود الجمعة بالمسجد الجامع الذي اتخذه ثلاث جمع متواليات، فأراد القاضي منذر أن يغض منه بما يتناوله من الموعظة بفصل الخطاب والحكمة والتذكير بالإنابة والرجوع، فابتدأ في أول خطبته بقوله تعالى: (أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ)(١) إلي قوله تعالى: (مِّنَ الْوَاعِظِينَ) ثم وصله بقوله: فمتاع الدنيا قليل، والآخرة خير لمن اتقى وهي دار القرار ومكان الجزاء، ومضى في ذم تشييد البنيان، والاستغراق في زخرفته، والإسراف في الإنفاق عليه، بكل كلام جزل،وقول فصل، قال الحاكي: فجرى فيه طلقاً، وانتزع فيه قوله تعالى: (أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ) (٢) إلي آخر الآية وأتى بما شاكلة المعني من التخويف بالموت، والتحذير من فجاءته، والدعاء غلي الزهد في هذه الدار الفانية، والحض علي اعتزالها والرفض لها، والندب إلي الإعراض عنها والاقصار عن طلب اللذات، ونهي النفش عن إتباع هواها فأسهب في ذلك كله، وأضاف إليه من آي القرآن ما

---

(١) سورة الشعراء الآية (١٢٨).

(٢) سورة التوبة الآية (١٠٩).

بطابقه،وجلب من الحديث والأثر ما يشاكه حتى اذكر من حفزه في الناس وخشعوا ورقوا واعترفوا وبكوا وضجوا وأعلنوا الفزع إلي الله تعالى، وأخذ خليفتهم من ذلك بأوفر حظ، وقد علم المقصود به، فبكي ولذم علي ما سلف له من فرطه واستعاذ بالله من سخطه إلا أنه وَجِدَ علي منذر لغلظ ما قرعه به فشكا ذلك لولده الحكم بعد انصرف منذر ، وقال: والله لقد تعمدني منذر بخطبته، وما عني بها غيري، فأسرف علي وأفرط في تقريعي وتفزيعي ولم يحسن السياسة في وعظي فزعزع قلبي وكاد بعصاه يقرعني واستشاط غليظاً عليه فأقسم أن لا يصلي خلفه صلاة الجمعة خاصة، فجعل يلتزم صلاتها وراء أحمد بن مطرف صاحب الصلاة بقرطبة، ويجانب الصلاة بالزهراء، وقال له الحكم: فما الذي يمنعك من عزل منذر عن الصلاة بك والاستبدال بغيره منه إذ أكرهته؟!

فزجره وأنتهره، وقال له: أمثل منذر بن سعيد في فضله وخيره وعلمه لا أم لك يعزل لإرضاء نفس ناكبة عن الرشد،سالكه غير القصد؟ هذا ما لا يكون، وإني لأستحي من الله أن لا أجعل بيني وبينه في صلاة الجمعة شفيعاً مثل منذر في ورعه وصدقه، ولكنه أحرجني، فأقسمت، ولوددت أني أجد سبيلاً إلي كفارة يميني بملكي، بل يصلي بالناس حياته وحياتنا إن شاء الله تعالي، وما أظننا نعتاض منه أبداً وقيل: إن الحكم اعتذر عما قال منذر وقال: يا أمير المؤمنين إنه رجل صالح، وما أراد إلا خيراً، ولو رأي ما أنفقت وحسن تلك البينة نعذرك، فأمر حينئذ الناصر

بالقصور ففرشت وفرش ذلك المجلس بأصناف فرش الديباج، وأمر بالأطعمة، وقد أحضر العلماء وغض بهم المجلس، فدخل منذر في أخرهم فأومأ عليه الناصر أن يقعد بقرية، فقال: يا أمير المؤمنين، إنما يقعد الرجل حيث انتهي به المجلس، ولا يتخطي الرقاب، فجلس في آخر الناس وعليه ثياب رثه، ثم ذكر هذا القائل من كلام المنذر يأتي قريباً.

وقحط الناس آخر مدة الناصر فأمر القاضي منذر المذكور بالبروز إلي الاستسقاء بالناس، فتأهب لذلك، وصام بين يديه أياماً ثلاثة تنقلاً وإنابة ورهبه،واجتمع له الناس في مصلي الربض بقرطبة بارزين إلي الله تعالى في جمع عظيم، وصعد الخليفة الناصر في أعلي مصائبه المرتفعة من القصر البشارف الناس، ويشاركهم في الخروج علي الله والضراعة له فأبطأ القاضي حتى اجتمع الناس وغض بهم ساحة المصلي، ثم خرج نحوهم ماشياً متضرعاً محبتا متخشنا، وقام ليخطب،فلما رأي بدار الناس إلي ارتقائه، واستكانتهم من خفيفة الله، وإخباتهم له، وابتهالهم إليه– رقت نفسه، وغلبته عيناه، فاستعبر وبكي حيناً، ثم افتتح خطبته بأن قال: يا أيها الناس، سلام عليكم، ثم سكت ووقف شبه الحصر، ولم يك من عادته، فنظر الناس بعضهم إلي بعض لا يدرون ما عراه ولا ما أراده بقوله ثم اندفع تالياً قوله تعالى (قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُل لِلّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ

[1]- إلي قوله تعالى- رحيم) ثم قال: استغفروا ربكم إنه كان غفارا،وتزلفوا بالأعمال الصالحة، قال الحاكي: فضج الناس بالبكاء وجأروا بالدعاء، فلم ينقض النهار حتى أرسل الله السماء بماء منهمر روي الثري، وطرد المحل وسكن الأزل والله لطيف بعباده.

وقال الحجازي في المسهب في أخبار المغرب: دخل منذر بن سعيد يوما علي الناصر باني الزهراء، وهو مكب الاشتغال بالبنيان، فوعظه، فأنشده عبد الرحمن الناصر:

همم الملوك إذا أرادوا ذكرها *** من بعدهم فبألسن البنيان

أو ما تري الهرمين قد بقيا وكم *** ملك محاه حوادث الأزمان

إنّ البِنَاءَ إذا تَعاظمَ شَأنهُ *** أضْحَي يدلُ علي عظيمِ الشّأن

قال: فما أدري أهذا شعره أم تمثل به؟ فإن كان شعره فقد بلغ به إلي غاية الإحسان وإن كان تمثل به فقد استحقه بالتمثل به في هذا المكان.

وحضر معه يوماً في الزهراء، فقام الرئيس أبو عثمان بن إدريس فأنشد الناصر قصيدة منها:

سيشهد ما أبقيت أنك لم تكن *** مضيعاً وقد مكنت للدين والدنيا

---

(١) سورة الأنعام الآية (١٢).

فالجـامع المعمـور للعلـم والتقـي *** وبـالزاهرة الزهـراء للملـك والعليـا

فاهتز الناصر، وابتهج وأطرق منذر بن سعيد ساعة ثم قال منشداً.

يـا بـاني الزهـراء مسـتغرقاً *** أوقـاته فيها أما تمهل

لله مـا أحـسنها رونقـاً *** لـو لـم تكـن زهرتهـا تذبـل

فقال الناصر: إذا هب عليها نسيم التذكار والحنين وسقتها مدامع الخشوع يا أبا الحكم لا تذبل إن شاء الله تعالى، فقال منذر: اللهم أشهد أني قد بثثت ما عندي ولم آل نصحاً[١].

---

(١) المقري :نفح الطيب،٨٩-٩٣ .

المبحث الثالث

النزاع والتناحر القبلي والطائفي :ـ

تنقسم فترة الحكم في الأندلس من قيام الدولة إلى سقوطها إلى عدة فترات وهي:

أولاً: فترة الولاة

ثانياً: الدولة الأموية الأندلسية

ثالثاً: ملوك الطوائف.

رابعاً: دولة المرابطين

خامساً: دولة الموحدين

وأخيراً: دولة بني الأحمر

أهم ما تتسم به فترة الولاة من الناحية السياسة أنها فترة منازعات وحروب في فترة الفتح وما يتبعه من تأكيد سلطان الفاتحين بتتبع الفارين والمناوئين، ثم هي فترة المنافسة على الولاية والمنازعة في السلطة بين العرب والبربر أولاً، ثم بين العرب أنفسهم قحطانين وعدنانيين ثانياً. وهكذا شهدت تلك الفترة من تأريخ الأندلس كثيراً من الحملات الحربية التي كانت تسير إلى لقاء الفرنجة عبر البرانس حيناً، وإلى لقاء الأسباب في الأقاليم الشمالية من شبه الجزيرة حيناً آخر.

وكتب التأريخ توردلنا أسماء أربعة وعشرين واليا قاموا بالأمر تباعاً في الأندلس خلال تلك الفترة، التي لا تبلغ نصف القرن. وهذا وحده كاف في تصور ما كانت عليه سياسة الأندلس في هذه الفترة من اضطراب وعدم استقرار. فالحكم الإسلامي كان لا يزال في طور البدء بتلك البلاد، ولم يكن قد أصاب حظاً من استقرار المطمئن بعد ولم تكن الحكومة الإسلامية قد وطدت سلطانها على الأقاليم الشمالية، التي تلوذ بها جماعات فارة متربصة.

كذلك لم تكن الحكومة الإسلامية قد أمنت حدودها ضد الفرنجة فيما وراء البرنس فالعرب قد تفردوا بالسهول الخصبة وجعلوا منهم الوالي وغيره من حكام الأقاليم النائبة أما البربر قد تفردوا في بالمناطق الجبلية والأقاليم النائية وحرموا من الولاية وما يشبه الولاية من رياسات.

والعرب أنفسهم قد جاءوا إلى الأندلس بعصبباتهم ولم ينسوا العداوات القديمة بين عدنان وقحطان.

ومن هنا كانت الحروب الدينية بين المسلمين والأسباب والفرنجة أولا، ثم النزاع العنصري الدموي بين العرب والبربر ثانياً.

ثم كان الصراع بين العرب أنفسهم آخر الأمر. لهذا كله كانت السمات السياسة لتلك الفترة هي النزاع والصراع والاضطراب والقلق.

ثم جاءت الدولة الأموية الأندلسية وكان لها فترتان هما الخلافة والإمارة وحكم في هذه الفترة من تاريخ الأندلس أربعة من أمراء بني أمية الأندلسية، عبد الرحمن الأوسط ثم ابنه محمد ثم حفيداه المنذر وعبد الله ابنا محمد وأهم ما تمتاز به هذه الفترة من الناحية السياسة، هو الصراع في سبيل المحافظة على تلك الإمارة الأموية الناشئة، التي تعرضت لعدد من الأحداث(١)

عصر الخلافة في قرطبة :

تعاقب علي العرش الأموي في الأندلس ثمانية أمراء من غير لقب الخلافة، في مدي مائة واثنين وسبعين سنة ثبّت الأمويون دعائم ملكم وبدأ في ملكهم هذا بروز حضارة جديدة في السياسة وفي الحياة الاجتماعية .

وكانت هذه القوة الناشئة يطل منها خطر كبير على أوروبة فأجتمع الإفرنجة والبابوية علي أن يثيروا في الأندلس (حركة الاستخفاف)، وذلك أن ينهض شخص نصراني (رجل أو امرأة، أو راهب في كثير من الأحيان) في مجمع من الناس أو عند باب لأحد المساجد فيشتم محمداً صلى الله عليه وسلم.

ثأرت هذه الحركة التي كان النصارى يسمونها حركة الاستشهاد في أيام عبد الرحمن الأوسط ابن الحكم (٢٠٦ –٢٣٨هـ).

---

(١) د. أحمد هيكل. الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ط دار المعارف القاهرة ١٩٨٦م ص ٥٨-٥٩.

ولكن الخليفة والقضاة عالجوا هذه الحركة بحكمة فلم يحكموا بالقتل علي أولئك المستخفين. فانتهت تلك الحركة لأنها لم تود إلي نتيجة عملية من الفوضى والقتل.

ثم وضع الإفرنج والبابوية في الساحة رجلاً نصرانيا يسمي نفسه عمر بن حفصون ويتظاهر بالإسلام فجمع حوله عدداً كبيراً من الناقمين وقاتل الدولة الأموية وكاد يصل إلي قرطبة نفسها. بدأت هذه الحركة في أيام محمد بن عبد الرحمن ثم استمرت في أيام المنذر ثم في أيام عبد الله بن محمد في هذه الحقبة من الضعف والتنازع بين أمراء البيت الأموي رجع الأمير بالأمر بعده إلي حفيد له هو عبد الرحمن بن محمد (وكان الأمير عبد الله قد قتل أبنه محمداً هذا) وهيأ له مستشارين حازمين مخلصين وجاء عبد الرحمن بن محمد إلي العرش سنة ٣٠٠هـ وعمره ثلاث وعشرون سنة، فاستطاع في مدي ست عشر سنة أن يقضي علي ثورة المسمى عمر بن حفصون وأن يعيد الأمن والنظام والهيبة إلي الأندلس .ثم رأي أن الخلافة العباسية قد ضعفت كثيراً في أيام المقتدر والمعتضد والمرتضى والقاهر (٢٩٥-٣٢٠هـ) بالتنازع علي العرش . ثم التفت شمالاً فإذا أوروبة تحكمها – شكلاً علي الأقل – بابوية في عصر كان للحكم الديني وجاهه في كل مكان.

ففي أول ذي الحجة من سنة٣١٦هـ، نادي عبد الرحمن بنفسه خليفة (عبد الرحمن الناصر لدين الله)، فأصبحت إمارة الأمويين في قرطبة منذ الناصر ذلك اليوم خلافة.

في أيام عبد الرحمن الناصر بلغت الأندلس ذروة القوة والحضارة والوجاهة والسلطة حتى كادت تكشف نور بغداد وحتى كان الأمراء الأسبان النصارى يحكمون إليه في خلافاتهم الداخلية .

وتوفي عبد الرحمن الناصر سنة٣٥٠هـ، بعد أن حكم خمسين سنة، فخلفه أبنه الحكم المنتصر، وكان رجلاً كثير الاهتمام بالعلم والفلسفة جمع في بلاطه مكتبة قيل إنها ضمنت أربعين مجلد. ومع انصراف الحكم المنتصر عن شئون الدولة فإن دولته عاشت قويه بفضل الهيبة التي كان لها من أيام أبيه. ولكن كله فسح مجال لشيء من الاضطراب في شئون الدولة ولشيء من الاستبداد يطمح إليه نفر من رجالها ولشيء من الجراءة، في الأعداء الداخلين والخارجين، وعلي الثورة أو علي الحرب. كان للحكم المنتصر محظيه بُشكنسية أسمها (أورورا)، وكان يسميها صبح وقد رزق ٣٦٠هـ منها بغلاماً أسماه هشاماً ثم جعله (سنة ٣٦٥هـ)، ولياً للعهد .

توفي الحكم المنتصر فخلفه ابنه هشام باسم هشام المؤيد وكان لا يزال قاصراً قليل العلم والاهتمام بمعاناة أمور الدولة . اتخذ هشام المؤيد جعفر المصحفي حاجباً (رئيساً للوزارة) وجعل محمد بن أبي عامر وزيراً للمصحفي .

أتفق أن يهاجم الأسبان شمالي الأندلس، فكان رأي غالب والمصحفي مفاوضة العدو لا هزيمة في المعركة أمر مستبعد.

أما ابن أبي عامر فقد أكد أن العدو سينهزم في المعركة . وشاء القدر أن ينتصر ابن أبي عامر طمع ابن أبي عامر الآن إلي الاستبداد بالسلطة فحجب هشاماً وشغله بالترف واللهو ثم نكب المصحفي وغدر بغالب فأصبحت الدولة كلها في يديه. عندئذ تسمي (المنصور بن عامر) وبني مدينة سماها الزاهرة (تقليداً للزهراء التي بناها عبد الرحمن)، بعد أن توفي المنصور بن أبي عامر تولي الحجابة في الأندلس ابنه عبد الملك المظفر، وكان قديرا شجاعاً قريب الصفات من أبيه فاستمر في حجب هشام وفي الاستبداد في تسير أمور الخلافة ولما توفي عبد الملك المظفر خلفه أخوه عبد الرحمن الملقب (شنجول وهي شانجة الصغير) غير أن عبد الرحمن هذا كان ضعيفاً منصرفاً إلي ملذاته فانحدرت الأندلس في أيامه وإلي الفتنة والفوضى.

كان هنالك عدة نزاعات بين البربر والعرب وفي النهاية عاد الأمر في قرطبة إلي العرب فجاء إلي عرش الخلافة المتزعزع عبد الرحمن المستظهر بن هشام، ثم بعد شهرين جاء المستكفي . وقد كانت ابنته ولادة أشهر منه في تأريخ السياسة وتاريخ الأدب – ثم عاد البربر بيحيي بن علي بن حمود ثم أعاد العرب رجلاً مروانياً إلي الخلافة وهو هشام المعتد بن عبد الرحمن المرتضى فحكم

حكماً معتلاً أربع سنوات انتهت بقتله سنة٤٢٢هـ وبسقوط الدولة الأموية في قرطبة[١].

عاني الأندلس في عصر ملوك الطوائف(٤٢٢-٤٨٤)هـ ألواناً من الضعف والوهن وتردي الأحوال السياسة، نتيجة التنازع بين ملوك الأندلس واستغراقهم في اللهو وتوسلهم إلى البقاء على عروشهم بأي وسيلة بما في ذلك التواطؤ مع ملك قشتالة أفونسو السادس ودفعهم الجزية السنوية له، ما أعقب ذلك من ضياع بعض مدنهم من أيديهم مثله بطرنه سنة ٤٥٥هـ. وبربدبشتر سنة ٤٥٦هـ وطليطلة سنة ٤٧٨هـ وبلنسيه سنة ٤٨٨هـ.

وقد ابنري عدد من فقهاء الأندلس وأدبائها وشعرائها لمواجهة هذه الأوضاع الخطيرة التي تؤذن بضياع الأندلس برمتها من أيدي المسلمين، وذهبوا في ذلك مذاهب شتي، منها الحض على الجهاد كما فعل أبو حفص الهوزني(٢٩٢-٠ ٤٦هـ) وغيرها، ومنها السعي إلى وحدة الأمة الأندلسية ولم شملها، كما فعل أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي(ت ٤٧٤)هـ ومنها الاستنجاد بمسلمي المغرب لإنقاذ الأندلس من خطر القشتالين وتخليصها من ملوك الطوائف كما فعل أبو الحسن ابن الجد في قصيدة له ينقد فيها ملوك الطوائف ويمدح زعيم المرابطين بالمغرب[٢]

(١) عمر فروخ : تأريخ الأدب العربي ص ١٦٥- ١٦٧

(٢)أ.د. صلاح جرار: قراءات في الشعر الأندلسي: ط دار المسيرة ص ١٥٣.

فــي كــل يــوم غريــب فــيه معــتبر *** نلقاه أو يتلقانا به خــبر

أرى الملـــوك أصـــابتهم بأندلـــس *** دوائر السوء لا تبـقي ولا تذر

قـد كنـت أنظرهـا والشـمس طـالعة *** لـو صـح للقـوم فـي أمثالهـا النظـر

نـاموا وأسرى لهم تحت الدجي قدر *** هوي بانجمهم خسفاً وما شعروا

وكيف يشعر من في كفه قدح *** تحدو به مذهلات الناي والوتر (١)

الأندلس تحت حكم المرابطين:

عين يوسف، قبل رجوعه إلى مراكش عاصمة إمبراطوريته وولي عهده على بن يوسف نائباً له يحكم جميع بلاده الأندلس باسمه، وقسم البلاد إلى ولايات يحكم كل منها أميراً من المرابطين، وكان اغلب هؤلاء الولاة من لمتونه وغيرها من قبائل الملثمين مثل جداله ومسوفه وكانت من سياسة يوسف ألا يترك الحاكم في ولأبيه لمدة طويلة،فكان ولأته ينتقلون من مقاطعة.إلى مقاطعة ولعل السبب في هذا أنه يهدف إلى حرمانهم من اقتناء العقارات لأنفسهم،كما كان حريصاً على لا يترك لهم الفرصة للاستقرار في مكان واحد لمدة طويلة تمكنهم من الخروج على سلطانه مستعينين بمن حولهم من الأتباع وأهل البلاد.

---

(١) ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: تحقيق د. إحسان عباس ط دار الثقافة بيروت لبنان ق ٢م١ ص ٢٥٦

وعلى الرغم من كل احتياطات يوسف ومن ابنه على فقد استشري الفساد في البلاد وعمل الحكام على اقتناء الثروات الطائلة وجمعوا حولهم الحشم والخدم وتشبه بعضهم بالملوك وتزيا بزيهم وكان يعكف على الخمر والملذات.

ونصرف الحكام عن محاسبة عمالهم فانصرف هؤلاء لبؤرهم إلى العمل على ابتزاز الأموال وظلم الرعية واضطهادهم- ولئن صح قول يوسف في وصف أصحابه من أنهم كانوا(رجالاً لا عهد لهم بالدعة ولا علم عندهم برخاء العيش، أنما هم أحدهم فرس يروضه ويستفزه أو سلاح يستجيده أو صريح يلبي دعوته) لئن صح هذا القول عن المرابطين في صحرائهم، أو عند خروجهم فها في أول الأمر، فلم يصح بعد تزوقهم طيب العيش في الأندلس.

ولعل آخر ما قضي على هيبة المرابطين في الأندلس، وجمع الناس على بعضهم ومحاولة الخلاص منهم تحالف يحيي بن غانية آخر ولاتهم بالأندلس مع النصارى لقمع الثوار وحرب الموحدين. وقد بذل له النصارى العون لإدراكهم مدى ضعفه ورغبتهم في مساومته وخوفهم من قيام قوة فتية من البلاد، ولكن الثورات نجحت وقام في الأندلس عهد يشبه عهد ملوك الطوائف اضطر زعماؤه بعد حين لمبالغة سلطان الموحدين عن المؤمن بن على الذي انتصرت جيوشه على كل جيوش المرابطين التي لاقتها في عهد أمير المسلمين على بن يوسف (ت ٥٥٧هـ) وعهد ابنه إبراهيم الذي قتل بوهران وهو فار أمام الموحدين (٥٣٩هـ).وانتهت دولة

المرابطين نهاية تامة سنة(٥٤١هـ) بسقوط مراكش في يد المؤمن، وقتل آخر سلاطين المرابطين أبي إسحاق إبراهيم بن ناشفين[١]

ولما ضعف الموحدون في المغرب جعل ولاتهم في الأندلس يتنازعون، فثار عليهم محمد بن يوسف بن هود (من أعقاب بني هود ملوك الطوائف في سرقسطة) ودخل مدينة مرسية ٦٢٥ثم أمتد سلطانه، في جنوبي الأندلس، علي شاطبة وقرطبة وإشبيلية وجبل طارق ثم مرفأ سبته في المغرب.

وتصدي لمنافسة محمد بن يوسف بم هود علي حكم بقايا الأندلس رجل من قرطبة اسمه محمد بن يوسف بن نصر (بن الأحمر) بعد أن استبد بحكم غرناطة (٦٢٩هـ) .

ثم اشتدت المنافسة بين الرجلين وجعل كل وأحد منهما يستنجد بالطاقية (فردينا ند الثالث ملك قشتالة) ويبذل له الحصون والمدن الإسلامية حتى يعينه علي خصمه . وفي كل مرة كانت أرض المسلمين في الأندلس تتقلص من غير أن يستفيد المتنافسان شئياً . ولجأ ابن الأحمر مرة إلي فرديتاند الثالث ليعينه علي ثائر صغير في أشبيلية ثم سار ابن الأحمر وفرديناند لحصار إشبيلية . وبعد عامين سقطت إشبيلية ولكن في يد فرديناند لا في يد ابن الأحمر (٦٤٨هـ).

---

(١) د. مصطفي عوض الكريم ك الأدب الأندلسي في عهد المرابطين : جامعة الخرطوم سنة ١٩٦٨م ص١١- ١٤.

وجاز يعقوب المنصور المريني إلي الأندلس مراراً وحارب الأسبان وأنتصر عليهم، وكان في كل مرة يترك الغنائم والأسلاب لبني الأحمر ليقووا بها علي أعدائهم . ولكن بني الأحمر كانوا قليلي الوفاء لبني مرين قصري النظر في ما يتعلق بالصالح لهم، فكانوا مرة يتآمرون مع الطاغية علي بني مرين ومرة يحرضون الدويلات البربرية في المغرب ويساعدونها علي قتال بني مرين. ومع ذلك فقد أنتصر يعقوب المنصور المريني علي الأسبان في معظم المعارك التي خاضها في الأندلس. وبلغت مهابه يعقوب المنصور المريني في قلوب الأسبان إلي (أن طلب شانجة الرابع المعاهدة علي ما أملاه المنصور المريني). بعد عقد الصلح حضر شانجة الرابع بنفسه وقابل المنصور المريني علي مقربة من وادي لكّة (في جنوبي الأندلس) وأراد أن يقدم إلي المنصور هدية فطلب المنصور منه كتب الإسلام التي كان الأسبان يستولون عليها عند استيلائهم علي المدن الإسلامية. فبعث شانجة إلي المنصور قدراً عظيماً من تلك الكتب وعدداً مهماً من المصاحف الكريمة. فنقل المنصور هذه الكتب والمصاحف إلي مدينة فاس ووقفها علي طلبة العلم . وبرغم العدواة التي كان بنو الأحمر يضمرونها ويظهرونها لبني مرين، فإن بني مرين لم ينقطعوا عن الجواز إلي الأندلس والدفاع عن المسلمين . كل هذا بنو الأحمر في غرناطة يتنازعون فيما بينهم ويعاودن بني مرين ويوالون الأسبان حيناً بعرضين. لم يستطيع الأسبان أن يستولوا علي ما بقي في يد المسلمين من الأندلس لأنهم هم

أيضاً كانوا في هذه الحقبة مختلفين فيما بينهم، فقد كانت أسرة آرغون تحارب أسرة قتشتالة . ولكن في ١٤٦٩م (٨٧٣- ٨٧٤) تزوج فرديناند الخامس ملك أرغون أيسابل أخت هنري الرابع ملك قشتالة. وتوفي هنري الرابع وحلف أبنه قاصرة فنصبت إيسابل علي العرش فأتحد بذلك عرش أرغون وعرش قشتالة .

زال الخلاف الذي كان بين أسرة أرغون وأسرة قشتالة فسارت أيسابل علي رأس جيش وحاصرت غرناطة بنفسها – وكان ملوك غرناطة لا يزالون متخاصمين يكيد لبعضهم البعض .وجاء شتاء قاس، وضيق الأسبان الحصار علي غرناطة – ولم يكن قد بقي من المسلمين من جميع ملك الأندلس سواها – فأضطر أهلها إلي الاستلام (٨٩٧هـ) علي أن يبقي أهل غرناطة في غرناطة من شاء وأن يخرج منها من شاء . وكان في معاهدة الاستسلام سبعة وستون شرطاً لم يف الأسبان للمسلمين بشرط منها . [١]

(١) عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، ج٦٠، ص ٢٦-٢٧

المبحث الرابع

فناء الدول والمدن وأثره في الزهد

الدنيا دول – والدولة : انتقال الأمر من جماعة إلي جماعة مرة يكون لهؤلاء ومرة يكون لأولئك ؛ وربما كان لقوم ثم لم يعد إليهم .

والقاعدة أن كل دولة (بمعني ملك أسرة أو فرد جماعة من الناس أو رقعة من الأرض وبمعني حيازة الإنسان ثروة أو تمتع فرد بجاه) لا تعيش إلي الأبد ، بل لابد لها من عمر طبيعي تحيا في مداه ثم تسقط ليقوم غيرها مكانها ، كما يقول ابن خلدون.

ولقد كان من الطبيعي جداً أن يحزن أهل كل دولة علي زوال دولتهم أو خوفاً من أن تزول دولتهم حينما يبدأ انحدارها نحو الزوال الأكيد.

ولقد أراد الإسلام من الناس أن يكون لهم في زوال الدول والأمم عبرة فلا يظلم بعضهم بعضاً ولا يأتوا بما يعجل زوالهم أو يجعل زوالهم شديد الألم لهم – ما دام ذلك الزوال أمراً لا مفر منه – أو سيئ العواقب عليهم وقومهم . ويكفينا هنا قول الله تعالي : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَواْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ) [١] .

---

(١) سورة يوسف الآية (١٠٩).

وكانت الدواعي لرثاء المدن في الأندلس كثيرة بعد أن بدأ الأسبان النصاري يستولون علي المدن الإسلامية في تلك الحروب الصليبية التي سبقت الحرب الصليبية في المشرق [١].

ومن خصائص شعر رثاء المدن، الصدق العاطفي والشعر الحقيقي بالمآسي التي حلت بالمسلمين . وميل الشعر إلي ضرورة اتخاذ العظة والعبرة ومن هنا تضامنت في رثاء الممالك الأندلسية حدة البكاء وحل مكانه جنوح الي التبصر في شئون الدنيا وطبيعة الحياة ، فكان أن غلبت عليه نظرات الفكر وخطرات الذهن، وتسربل الحزن الوارى بغلالة من المعاني والآراء ذات الروح الفلسفية، بحيث تجلي ذلك في شعر الحكمة، الذي لازم هذا الغرض الشعري في معظم نماذجه[٢]

وسوف أتناول في هذا الشأن أشهر قصيدتين تحدثث عن هذا الجانب .

النموذج الأول قصيدة ابن عبدون [٣] التي رثي فيها دولة بني الأفطس وتسمي هذه القصيدة بالبسامة والتي يقول في مطلعها :

---

(١) عمر فروخ : تاريخ الأدب العربي، ج٦، ص٩٣.

(٢) رسالة دكتوارة باسم الطالب نميري تاج السر : الشعر الأندلسي في عصر الطوائف اتجاهاته وخصائصه الفنية ص ٧٣

(٣) هو أبو محمد بن عبدون الفهري اليابري، نسبة الي يابرة وهي بلدة في غربي الاندلس علي نحو مائة كيلو متر من بطليوس غرباً في الجنوب. يبدو أن مولد ابن عبدون كان في منتصف القرن الخامس الهجري (نحو ١٠٦٠م) وتلقي ابن عبدون العلم علي أبي الوليد بن ضابط النحوي المالقي كما روي من الأعلم الشنتمري (ت٤٧٦) وأبي مروان بن سراج (ت ٤٨٩هـ) وعاصر أيوب البطليوسي (ت ٤٩٤هـ) توفي ابن عبدون في يابرة سنة ٥٢٩هـ .عمر فروج : تاريخ الأدب العربي ص ١٩٢

(١)الـدَهرُ يُفجِـعُ بَعـدَ العَـينِ[٢] بِـالأَثَرِ *** فَمـا البُكـاءُ عَلـى الأَشـباحِ وَالصُـوَرِ

أَنهـاكَ أَنهـاكَ[٣] لا آلـوكَ مَوعِظَـةً *** عَن نَومَةٍ بَينَ ناب اللَيثِ وَالظفُرِ

فَالـدَهرُ حَـربٌ[٤] وَإِن أَبـدى مُسـالَمَةً *** وَالبيضُ وَالسودُ مِثلُ البيضِ وَالسُمرِ

فَـلا تَغُرَّنـكَ[٥] مِـن دُنيـاكَ نَومَتُهـا *** فَما صِناعَةُ عَينَيها سِوى السَهَرِ

مـا لِلَّيـالي[٦] أَقـالَ اللَـهُ عَثرَتَنـا *** مِنَ اللَيالي وَخانَتها يَدُ الغـيرِ

تَسُـرُّ بِالشـيءِ لَكِـن كَـي تغـرّ بِـهِ *** كَالأَيمِ[٧] ثارَ إِلى الجاني مِنَ الزَهرِ

كَـم دَولَـة ولِيَـت بِالنَصـرِ خـدمَتها *** لَم تُبقِ مِنها وَسَل ذِكراكَ مِن خَبَرِ

هَـوَت بِـدارا وَفَلَّـت غَـربَ قاتِلِـه *** وَكانَ عَضباً عَلى الأَمـلاكِ ذا أَثرِ

وَاِستَرجَعَت مِن بَني ساسانَ ماوَهبت *** وَلَم تَدَع لِبَني يونانَ مِن أَثَـرِ

وَأَلحَقَت أُختَها طسماً وَعاد عَلى *** عـادٍ وَجُرهُم مِنها ناقِض المِرَرِ

---

(١) عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، ص١٩٥-١٩٦

(٢) العين: البناء الشاخص أو الشخص المائل. الأثر: العلامة الدالة على ما كان موجوداً.

(٣) أنهاك: وأردعك أو أمنع. لا آلوك موعظة: لا أضن عليك بموعظة.

(٤) حرب: (خصام)، البيض والسمر: (الأيام والليالي) كالبيض والسمر (السيوف والرماح) في الفتك بالناس.

(٥) فلا تغرنك: لا تطمئن إذا أمهلتك الأيام فلم تصبك في فترة بمصيبة.

(٦) ما لليالي: ما شأن الليالي بنا (تصيبنا كل حين بالمصائب)؟ أقال الله عسرتنا: نجانا منها.

(٧) الأيم: الحية. الجاني الذي يجني ويقطف الزهر – إذا أراد إنسان أن يمد يده لقطف زهرة اطمئنان بأن الأزهار لا خطر منها على الإنسان هجم عليه منها ثعبان.

نجد الشاعر في هذه الأبيات يرسل الحكمة والموعظة التي تعالج مشكلة الموت وتعني بمصير الإنسان المحتوم وتتخذ من الدهر محوراً لتأملاته، فهو الذي يفجع الإنسان في ذاته ثم فيما يتركه من أثر، فلا جدوى إذن من البكاء والنحيب ما دامت سنة الدهر دائبة على الإبادة والإفناء، ولا تبقي عيناً ولا أثراً ولا تدخر للحياة جوهراً ولا عرضاً فالدهر كالليث الجائع المتبقظ دائماً، فكيف والحال كذلك نركن إلى سعادة عاجلة أو مسألة موقته، إن الدهر إن عاجلاً أو آجلاً سيبدد هذه السعادة ويعلنها حرباً علي الحياة والأحياء وينشبُ أظفاره وأنيابه في البشر وما خلفوه لا يبقى منهم أحداً.

لا ينبغي أن نغتر بمر الأيام والليالي، واختلاف الليل والنهار في سواد ذاك وبياض هذه فأنهما كالسيوف القاطعة البيض والسمر، تقطع جزءاً من حياة الإنسان في كل يوم وتوهن الأجسام ساعة بعد ساعة لتقودها نحو الفناء.

وما دامت الحياة كلها تجري منذ الأزل على هذه السنن، فلما ذا نحزن ولماذا نبكي فالحزن لن يحول هذه السنن عن مجراها، ولن يرد الإنسان عن مصيره المحتوم[١].

تزخر هذه القصيدة بالتشبيهات والألوان البديعية واستخدام الحكمة والحذر من الدهر والليالي والأحداث التاريخية الهامة، وقد نهج الشاعر منهجاً جديداً في بناء

(١) د. عبد المجيد عابدين : نماذج من الشعر الأندلسي ، ط دار الفكر بيروت ، ص٩٣.

قصيدته من حيث استحياء تجارب الحياة واستقراء أحداث التأريخ والاستفادة من دروسه وأخذ الحكمة والعبرة من غيره.

أقبل على شرح هذه القصيدة الكثير من الأدباء أندلسيون ومغاربة وترجمت على عدة لغات في العصر الحديث. وقد تكون شهرتها راجعة إلى الجانب التعليمي فيها.

أما النموذج الثاني فهو من قصيدة أبي البقاء صالح بن شريف الرندي[١] ومطالعا.

لِكُـلِّ شَـيءٍ إذا مـا تَـمّ نُقصـانُ *** فَـلا يُغَـرَّ بِطيـبِ العَـيشِ إِنسـانُ

قصيدة ابن الرندي على جودتها لا تخرج عن كونها تقليداً ومزيجاً من قصيدة ابن عبدون الرائية في رثاء بني المظفر سنة ٤٨٩ وقصيدة ابن الآبار السنية في البكاء على بلسنية سنة ٦٣٥هـ أي قبل أن بنظم الرندي قصيدته بعشرين عاماً فقط ولا شك أنه قرأ القصيدتين بل حفظها هذا وتمتاز قصيدة ابن الرندي بأنها مخططة منهجه، فقد جعل قسماً منها وهو الأول، في شكوى الدهر وغدره وضرب المثل بالدولة التي

(١) أبو البقاء صالح بن شريف الرندي: هو أبو البقاء (أو أبوالطيب) صالح بن يزيد بن صالح بن موسى بن أبي القاسم بن علي بن شريف الرندي الأندلسي من أهل رُندة (في الجزيرة الخضراء، بين مالقة وشريش). تلقى أبو البقاء الرندي العلم على أبيه وعلى نفر منهم أبوالحسن الدباج وابن الفاخر الشريشي وابن قطرال وأبو الحسن بن زرقون وأبوالقاسم بن الجد التونسي. ويبدو أنه كان منقطعاً على بني الأحمر كثير التردد على غرناطة. ولعل وفاته كانت في سنة ٦٨٤هـ.

عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، ج٦، ص٢٨٦.

سقطت والملوك الذين قتلوا أو قاتلوا على رغم عظم سطوتهم وسعة ملكهم، واقتبس كل أفكار ابن عبدون بل ردد اسماء لبعض الدول والملوك التي ذكرها تم خلص من ذلك إلى عظم الفجيعة في الأندلس وجسامه الخطب في فقدها وهو أمر يجل عن العزاء ويستعصى السلوان. يقول ابن الرندي في هذه القسم من القصيدة

لِكُـلِّ شَـيءٍ إذا مـا تَـمّ نُقصـانُ *** فَـلا يُغَـرَّ بِطيـبِ العَـيشِ إنسـانُ

هِـيَ الأُمُـورُ كَمـا شـاهَدتُها دُوَلٌ *** مَن سَـرّهُ زَمَن ساءَتهُ أَزمانُ

وَهَـذِهِ الـدارُ لا تُبقـي عَلـى أَحَـدٍ *** وَلا يَدُومُ عَلى حـالٍ لَها شانُ

يُمَـزِّقُ الـدَهرُ حَتمـاً كُـلَّ سـابِغَةٍ *** إِذا نَبَت مَشـرَفِيّات وَخرصانُ

وَيَنتَضـي كُـلَّ سَـيفٍ للفَنـاء وَلَـو *** كانَ ابنَ ذي يَزَن وَالغِمد غمدانُ

أَينَ المُلوكُ ذَوي التيجانِ مِن يَمَنٍ *** وَأَينَ مِنهُم أَكـالِيلٌ وَتيجَانُ

وَأَيـنَ مـا شـادَهُ شَـدّادُ فـي إِرَمٍ *** وَأينَ ما سـاسَه في الفُرسِ ساسانُ

وَأَيـنَ مـا حـازَهُ قـارونُ مـن ذَهَـبٍ *** وَأَينَ عـادٌ وَشدّادٌ وَقَحطانُ

أَتى عَلى الكُلِّ أَمرٌ لا مَرَدّ لَهُ *** حَتّى قَضوا فَكَأنّ القَوم ما كانُوا

وَصـارَ ما كـانَ مِن مُلكٍ وَمِن مَلَكٍ *** كَما حَكى عَن خَيالِ الطَّيفِ وَسنانُ[١]

---

(١) د. وليد قصاب، و د. هاشم مناع، مختارات من الأدب العربي، مطبعة الأمارات العربية للنشر والتوزيع، ص١٨٠.

لئن كان الشعراء يختلفون في اختيار مكان الحكمة من القصيدة إلا أن أبو البقاء جعلها في صدر القصيدة لأن مأساة سقوط الأندلس عظيمة ووقعها سيكون شديداً على المتلقين، فلا بد إذا من الأحكام إلي النقل أولاً قبل الخوض في وصف تلك الفاجعة كما تفاوت شعراء الرثاء في القضية التي تدور عليها الحكمة وإن كان معظمها يدور في فلك واحد له صلة بالموت والحياة أما أبو البقاء فجعلها تدور حول قضية التمام والنقصان وهي تقضي قطعاً إلى الموت والفناء والزوال، لكن اختيار الرندي لمسألة التمام والنقصان كان اختياراً موفقاً، لأن الشاعر أطلق حكماً قطعياً يجعل القارئ للبيت أو السامع يتساءل عن صحة قطعية الحكم فيغرق من البداية في التفكير بهذا المطلع وينساق مع القصيدة بحثاً عن الجواب.

الفصـــل الثالث

عناصر شعـــر الزهد

عند الأندلســـيين

المبحث الأول

عدم الركون إلى الدنيا والتقليل منها

طبيعة تطرف أهل الأندلس وشعرائه لم تنحصر في إطار اللذة والمتعة وحدهما، بل تطرفوا في الناحية المضادة وهي ناحية الزهد، ومن هنا كان من المظاهر العربية، أن بلاد الأندلس المليئة بوسائل المتعة، المترعة بأسباب اللذة يكون شعر الزهد فيها أضعاف مثيلة في المشرق، ولكن بقليل من التدبر في هذه القضية سوف لا يبدو الأمر غريباً، لأن هنالك ما يسمي برد الفعل، وقد كان الزهد في الأندلس ثم التصوف بعد ذلك ردة فعل شديدة ضد عدد وفير من أبنائها، ذوي أصوات عالية مسموعة في الانغراق في المادية والابتعاد عن الروحية، فكان شيئاً طبيعياً وليس غريباً أن يعلو قول ينادي بالزهد ويجأر بالشكوى من نداء الدنيا، فيهوّن من شأنها ويحقر من خطرها، ويتدبر كنه الحياة في أناة، ويختبرها في تبصر، ثم بصدر أحكاماً عليها لا لها.

ويبدو أن عدد الزهاد في الأندلس كان من الكثرة بمكان حتى إن ابن بشكوال– فيما يروي ابن الآبار – قد صنف كتاباً بعنوان(زهاد الأندلس وأئمتها) غير أن هذا الكتاب قد ضاع بين الآلاف العديدة من كتب التراث التي عدا عليها الزمان بمحنة أو بأخرى، ولكن إذا كان الأدب من شعره ونثره هو الوجه الحقيقي لأي مجتمع من المجتمعات ،فإننا من خلال نصوص الأدب وإخباره نستطيع أن نستبين

الملامح العديدة لوجوه مجتمعات تاريخنا وقومنا، وإن ما بين أيدينا من نصوص وأخبار تبدي لنا بوضوح الجانب الزاهد من وجه المجتمع الأندلسي تماماً كما عمرت لنا الجانب المضاد . [١]

إلي جانب العوامل السياسية والاجتماعية، هنالك عوامل أخري تدفع إلي القول في الزهد، ويمكن أن نعدها عوامل شخصية تتمثل في الاستعداد الفطري ونوعية الثقافة التي يتلقاها الشاعر .ومن البواعث الشخصية أيضاً ما يعانيه المرء من الفقر والعوز أو حين يقع تحت رحمة مرض عضال، وكذلك الشيخوخة والكبر ويصاحبها من أحاسيس محزنة بقرب الرحيل ودنو الآجل ، وذهاب الفتوة والقوة اللتين يستمد منهما المرء اعتداده وأمله، والتي تصيب الحياة كلها، وهي امتداد لإحساسه بتغير الدهر وتقلب الدنيا، فيبين أن يمتلئ حيوية وشباباً يعود هزيلاً ضعيفاً منهكاً .

ثم أننا إذا درسنا حياة شعرائنا من خلال ما نصحت به بعض أخبارهم، وصرحوا به هم أنفسهم في بعض أشعارهم يتضح لنا أنهم من ناحية النظم في الزهد يصنفون إلي عدة فئات.

عرفوا بالتقوى والورع حقيقة، فجاءت أشعارهم تعبر عن واقع حقيقي، معيش وصدرت عن نية صادقة، ونبعت من قلب مفعم بالإيمان والتقوى. ومعظم شعر

---

(١) د. مصطفي الشكعة : الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، ص .

هؤلاء الشعراء كان مقصوراً علي ذلك الغرض من الأغراض الشعرية الأخرى، ومع ذلك فإن منهم من نظم في أغراض أخرى كالوصف والعزل والمديح وغيرها .

أما الفئة الثانية : فيمكن أن نطلق عليها اسم (التائبين) وهم أولئك النفر من الشعراء المجان الذين كانوا متعلقين بمناهج الحياة ومتعها وملذاتها، غير عابئين بأمر الآخرة وما ينتظرهم فيها من عقاب حتى وقع أحدهم تحت وطأة المرض أو براثن العجز والشيخوخة وشعر بدنو أجله وحينما يحس أن الحفرة الرطبة فاقرة فاها في انتظاره، فلا سبيل له حينذاك من اتباع الزهد والقول فيه والتضرع إلي الله وتقديم العمل الصالح لأجل التهوين من حدة ملاقاة الموت .

وتأمل الثواب وحسن المآب. وأكثر شعر هؤلاء الشعراء الزهدي يندرج تحت باب (التوبة والتكفير) وهنالك فئة ثالثة: تنظم في هذا الضرب من الشعر تحت مؤثرات معينة وظروف ملحة كالفقر والفاقة والنغمة علي الناس والمجتمع فكان زهدهم يعبر عن خلجة وقتيه، أو لمحة بارقة ربما تتلاشي وتذوب في أعماق الشاعر عند زوال تلك الظروف والمؤثرات، فلم يكونوا إذاً عاملين بمبادئ الزهد ولا آخذين أنفسهم بمعانيه، ولا مؤمنين بمضامينه. ومهما يكن من شي، فإن كل أولئك الشعراء خلفوا لنا موروثاً ضخماً من الشعر الزهدي ذي فنون مختلفة، وألون متعددة منها الأشعار التي تدعو إلي ذم الدنيا وعدم الركون أليها .

الدنيا في مفهوم الإسلام دار عمل واختيار (...... لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً)[1] وهي كجسر للعبور وبحسب المرء فيها ما يبلغه إلي الآخرة وهي هينة علي الله تعالي إذ لا تعدل عنده جناح بعوضة . ولكن عمارتها مطلوبة من أهلها لأنهم مستحلفون فيها . والقرآن الكريم والسنة الشريفة حثا علي تحقيق هذا المفهوم بالأخذ منها والتزود للآخرة وصرفها عن القلوب وعدم الاغترار والاشتغال بها عن العمل الصالح فما عند الله خير وأبقى، والثواب عنده أعظم وأجزل .

شعراء الزهد في الأندلس علي مر العصور ذموا الدنيا وكشفوا عن زيفها، وذكروا بما ينبغي ويحسن صنعه لبلوغ الباقية من طاعات وأعمال صالحة ونذكر من هؤلاء الشعراء أبو إسحاق الإلبيري.

---

(١) سورة هود الآية (٧)

قال أبو إسحاق الإلبيري في ذم الدنيا[١]

فَلَيسَـــت هَـــذِهِ الــدُنيا بِشَـــيءٍ *** تَســـوؤُكَ حُقبَـــةً وَتَسُــــرُّ وَقتـــا

وَغايَتُهــــا إِذا فَكَـــرَّت فيهـــا *** كَفَيئِــكَ أَو كَحُلمِــكَ إِن حَلَمتـــا

سُـجِنتَ بِهـا وَأَنـتَ لَهـا مُحِـبٌّ *** فَكَيـفَ تُحِـبُّ مـا فيـهِ سُـجِنتا

وَتُطعِمُـكَ الطَعـامَ وَعَـن قَريـب *** سَـتَطعَمُ مِنـكَ مـا مِنها طَعِمتـا

وَتَعـرى إِن لَبِسـتَ لَهـا ثِيابـاً *** وَتُكســى إِن مَلابِسَـها خَلَعتـا

وَتَشـهَدُ كُـلَّ يَـومٍ دَفـنَ خِـلٍّ *** كَأَنَّـكَ لا تُـرادُ بِمـا شَـهِدتا

وَلَـم تُخلَـق لِتَعمُرَهـا وَلَكِـن *** لِتَعبُرَهـا فَجِـدَّ لِمـا خُلِقتـا[٢]

ويذكر الشاعر من يخاطبه بالموت وعليه أن يوعظ نفسه به فإننا لم نخلق لنعمر هذه الدنيا وإنما خلقنا لنعيرها فعلينا بالجد والاجتهاد . وهذا شاعر آخر من

(١) هو إسحاق إبراهيم بن مسعود بن سعيد التجيبي الغرناطي الإلبيري ولد سنة٣٧٥هـ نعرف حقائق حياته أنه كان عربي الأصل وأن أصل أهله من سرقسطة، كما يدل لقبه(التجيبي) ثم إنه كان الميذ الفقيه الشاعر ابن زمني.

كان أبو إسحاق الإلبيري يحص باديس وأهل غرناطة كلهم علي الفتك باليهود واستطاع يوسف أن يحمل باديس علي أن يخرج أبي إسحاق. فذهب أبو إسحاق إلي إلبيرة وعاش في دار علي أحدى التلال عيشة الزهد والتصوف وكذلك كان شاعراً وجدانياً.

توفي أبو إسحاق سنة ٤٦٠هـ .

(٢) الالبيري: الديوان،

مدينة البيرة وهو السميسر الإلبيري [1] الذي أفحش في الهجاء وأسرف علي نفسه وعلي الناس في النيل من مروءتهم وسب أعراضهم يعمد إلي التوبة ثن يمزجها بالزهد في الدنيا ففي مقام التوبة المقرون بالزهد يقول:

جملة الدنيا ذهاب *** مثل ما قالوا سراب

والذي منها مشيد *** فخراب ويباب

وأرى الدهر بخيلا *** أبدا فيه اضطراب

سالب ماهو معط *** فالذي يعطي عذاب

وليوم الحشر انعام *** سوال وجواب

وصراط مستقيم *** يوم لا يطوي كتاب

فاتق الله وجنب *** كل مافيه حساب

وإذا كانت الأيام تتقدم بالسميسر ويقف من عمره علي نهايته فإنه يبدو أكثر صدقاً وأعمق إحساساً وبالتقشف والزهد في قوله

دع عنك مالاً وجاها *** لا عيش إلا الكفاف

قوت حل وأمن *** من الردي وعفاف

---

(١) هو أبو القاسم خلف بن فرج المعروف بلقبه (السميسر) أصله من إلبيرة (قرب غرناطة) سكن غرناطة متصلاً بصاحبها باديس بن حبوس (٤٣٠-٤٦٦هـ) . ثم وقعت وحشة بينه وبين باديس لبيتين قالهما في هجاء البربر فهرب إلي المرية لاجئا إلي صاحبها المعتصم بن صماح وأغراض شعره الشكوى والزهد والحكم والنسيب والهجاء المقذع. عمر فروخ : تاريخ الأدب العربي ص ٦٨٠-٦٨١

وقال الأمير عبد الله في ذم الدنيا[1]:

أري الدنيا تصـير إلي فناء *** وما فيها لشيء من بقاء

فبادر بالانـابة غير لاو *** علي شيء يصير إلي فناء

كأنك قد حملت علي سرير *** وصار جديد حسنك للبلاء

فنفسك فابكها أونح عليها *** فربما رحمت علي البكاء

ونافس في التقي وأجنح إليه *** لعلك ترضين رب السمـاء[2]

فهو يدعو الناس إلي التقوى، والإسراع بالفرار إلي الله والرجوع إليه، وهذا هو ميدان السبق والمنافسة الحقيقي، وفي ذلك فلينافس المتنافسون، لأن الدنيا زائلة، وكل شيء فيها مآله إلي الزوال، ولا يبقي غير وجه ربك ذي الجلال والإكرام.

وقال ابن جبير في ذم الدنيا [1]:

---

(١) الأمير عبد الله بن محمد : هو أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الحكم، أسم أمه بهار.كان مولد في نصف ربيع الآخر من سنة٢٢٩هـ. بويع الأمير في نصف صفر من سنة ٢٧٥هـ والأندلس في أحلك أيامها لكثرة الفتن، فلقد بلغت ابن حفصون في عهده ذروة اشتدادها.
وكان أنصار ابن حفصون يصلون في غاراتهم إلي أجواء قرطبة. وفي أيامه نبعت الدولة الفاطمية في القيروان،وكانت مناوئه للأمويين في الأندلس.
كثرت غارات الأسبان علي أطراف البلاد فقام الأمير بغزوات كثيرة إلي بلاد الأسبان ولكن هذه الغزوات كانت ضعيفة الأثر .
عمر فروخ: تأريخ الأدب العربي ج٥ ص ١٥٨

(٢) أبن غداري: البيان المغرب : ج٢ ص ١٥٤

عجبتُ للمرء في دنياهُ تطمعهُ *** في العَيشُ والأجلُ المحتوم يقطعهُ

يُمسي ويصبحُ في عَشواءَ يخبِطها *** اعمى البَصيرة والآمالُ تَزرَعه

يَغتر بالدَهرِ مَسروراً بصحبتهِ *** وقد تيقّن أن الدَّهرَ يَصرَعه

ويجمع المالَ حِرصاً لا يفارقه *** وقد درى أنه للغيَر يجمعه

تراه يشفق من تَضييع درهمه *** وليسَ يشفِق من دينِ يُضيِّعه

وأسوأ الناسِ تدبيراً لعاقبِةٍ *** من انفقَ العمر فيما ليس ينفعه

يتعجب الشاعر من الذي يطمع في زيادة العيش، والموت والأجل، ينتظره وهو يؤمل والآمال تخدعه والدهر بصرعه وهو يعلم ذلك ومع ذلك نجده مسروراً ونجده مشغولاً بجمع المال وهو في نهاية المطاف للوارث . وفي تقديره أن أسوأ الناس من ينفق عمره فيما ليس ينفعه .

---

(١) هو محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي أبو الحسن رحالة أديب ولد في بلنسة سنة ٥٤٠هـ ونزل بشاطبة وبرع في الأدب ونظم الشعر الرقيق ، واولع بالترحل والتنقل فزار المشرق ثلاث مرات احداها سنة ٥٧٨-٥٨١هـ وهي التي ألف فيها كتابه (رحلة بن جبير مات بالاسكندرية في رحلته الثالثة سنة ٦١٤هـ ومن كتبه (نظم الجمان في التشكي من أخوان الزمان وهو ديوان شعره)
الزركلي : الأعلام : جـ٥ ص ٣٢٠

قال أبوبكر الطرطوشي : [١]

إنَّ لِلَّـــــــهِ عِبـــــــاداً فُطَنـــــــا *** تَرَكوا الدُنيـا وَخافوا الفِتَنا

نَظَـــــروا فيهـــــا فَلَمّـــــا عَلِمـــــوا *** أَنَّهـا لَيسَت لِحَيٍّ وَطَنـا

جَعَلوهـــــــا لُجَّـــــــةً وَاِتَّخَـــــــذوا *** صالِحَ الأَعمالِ فيها سُفُنـا[٢]

إن أبو بكر الطرطوشى يحاول التزهيد بهذه الحياة بطريق غير مباشر، وذلك بمدح هؤلاء الفطنين العقلاء الذين طلقوا الدنيا بأسرها خشية علي دينهم من بوائقها ومحنها بعد أن أدركوا أنها لا تدوم لحيّ فاجتازوها بحر فتنتها المتلاطم الأمواج بمراكب الأعمال الصالحة لينجوا بأنفسهم إلي الحياة الآخرة حيث ير الأمان .

(١) هو أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف القرشي الفهري الطرطوشي المعروف بابن أبي رندقة قال عنه ابن بشكوال كان إماماً عاملاً زاهداً ورعاً دينا متواضعا متقشفا متقللاً من الدنيا راضياً باليسير) وكانت ولادته سنه ٤٥١هـ وتوفي بلالسكندرية بعد سنة ٥١٠هـ

ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ص ٢٦٢

(٢) المقري: نفح الطيب، ج٢، ص٢٤٦.

المبحث الثاني

فكرة الموت والدعوة للاستعداد له : .

اهتم الشعراء الأندلسيون بموضوع الإعداد للموت والتحضير للآخرة، يستحوذ عليهم طول تفكر في مفارقة الحياة إلي ملاقاة الله سبحانه ، والوقوف بين يديه فمنهم من يحاسب نفسه علي ما أقترفت من ذنوب هو أدري بها، فيحثها علي الإقبال علي ما يرضاه الله تعالي وما يكون شفيعاً له يوم الحساب، ومنهم من هو يائس من رحمة نفسه لضيق فسحة الحياة وقرب الموت، فيطمع في مغفرة من الله ورحمة منه تنجيه من عذاب الآخرة ، وكأنهم في ذلك كله ينظرون إلي قوله تعالي (قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآَخِرَةُ عِندَ اللّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) (١) وقوله جلا وعلا (وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً) (٢)(٣)

---

(١)سورة البقرة الآية (٩٤)

(٢) سورة النساء الآية (١٨)

(٣) د. مقداد رحيم : رثاء النفس في الشعر الأندلسي ط الأولي جهينة للنشر والتوزيع الأردن سنة ٢٠٠٧م

قال ابن عبد ربه الأندلسي في ذكر الموت: [1]

أتَلهـــو بَـــينَ باطِيـــةٍ وَزيـــرِ *** أنتَ مِنَ الهـلاكِ على شفيرِ

فيـــا مَـــنْ غَـــرَّهُ أَمَـــلٌ طويـــلٌ *** وَدِّيهِ إلى أجـــلٍ قَصيرِ

أَتَفْـــرحُ والمَنِيَّـــةُ كُـــلَّ يَـــوْمٍ *** تُريكَ مَكـانَ قَبرِكَ في القُبورِ

سَتُسْـلبُ كُـل مـا جَمَّعْـتَ مِنْهـا *** بِعارِيـــةٍ تُـــرَدُّ إلـــى المُعيـــرِ

وتَعتــاضُ اليقــينَ مِــنَ التَّظَنِّــي *** ودارَ الحــقِّ مِــنْ دارِ الغـــرورِ [2]

يتساءل الشاعر ويستنكر علي من يلعب بين إناء الخمر والمعارف ولا يدر متي يكون هلاكه ، ربما يفأجا بالموت وهو يؤمل ويسوق ، وأن هذه الدينا ليست بدار قرار ولا يدوم لها حال .

وسوف ينكشف له هذا الظن ويتيقن عند وقوفه بين يدي الله تعالي يوم القيامة للحساب.

(١) أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم القرطبي (أبو عمر) عالم أديب شاعر ولد في ١٠ رمضان ٢٤٦بن وأسرة ابن عبدربه تنتمي الأمويين انتماء ولاء . من آثار العقد الفريد ، ديوان شعر ، اللباب في معرفة العلم والآداب أي آداب الأخلاق وأخبار فقهاء قرطبة ، توفي بقرطبة ٣٢٨هـ عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين مؤسسة الرسالة ج١ ص٢٧١

(٢) الثعالبي: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٣م، ص٩٩.

وهذا هو الزاهد أبو عمران موسى بن عمران المارتلي[١] الذي سار بإشبليه في طريق الزهادة، وكان الملوك يزورونه ولا يلتفت إليهم، وله نثر ونظم في الزهد والحكم مدّون مشهور. ومن نثره: (كلُ ما يفني ما له معني . من خف لسانه وقدمه كثر ندمه. التغافل عن الجواب من فعل ذوي الألباب . من أعطاك رفده فقد منحك وده. ملك فؤادك من أفادك .

ومن نظم قوله :

إلـــى كـــم أقـــولُ ولا أفعـــلُ *** وكم ذا أحـوم ولا أنزلُ

وأزجُـــر عينـــي فـــلا تَرعـــوى *** وأنصـــح نفســـي فـــلا تَقبـــل

وكـــم ذا تعلّـــل لـــي وَيحهـــا *** بعلّ وسوف وكم تَمطُل

وكـــم ذا أؤمِّـــل طـــول البَقـــاء *** وأغفُل والمـوتُ لا يَغفل

وفـــي كـــل يـــومٍ يُنـــادي بنـــا *** منادى الرحيـل ألا فارحَلوا

أمـــن بعـــد سَـــبعين أرجـــو البَقـــا *** وسبعٍ أتت بعـدها تُعجل

كأن بي وشيكاً إلى مصرعي *** يُساق بنَعـشي ولا أُمهل

---

(١) كان منقطع القرين في الورع والزهد والعبادة والعزلة وله في ذلك آثار معروفة مع الحظ الوافر من الأدب والتقدم في قرض الشعر في الزهد والتخويف وكان ملازماً لمسجده داخل أشبيليه توفي سنة٦٠٤هـ، عن أثنين وثمانين سنه. أبن الآبار: التكملة : ص ٧٥٤.

فيـــا ليـــت شـــعريَ بعـــد السُـــؤال *** وطول المُـقام لما أنقل[١]

في الأبيات تلوّم ذاتي، فالشاعر يسوف ويقول وينصح نفسه ولكن نفسه لا تطيق وهو في غفلة ولكن منادي الموت لا يغفل عنه، ونجد الشاعر قد تقدم به العمر وبلغ منه عتياً وهو في خوف من الموت والسؤال.

قال الشاعر الزاهد أبو إسحاق الإلبيري :

كُـــلُّ اِمـــرِئٍ فيمـــا يَـــدينُ يُـــدانُ *** سُبحانَ مَن لَم يَخـلُ مِنهُ مَكانُ[٢]

يـــا عـــامِرَ الـــدُنيا لِيَســـكُنَها وَمـــا *** هِيَ بِالَّتي يَبقى بِها سُـكّانُ

تَفنى وَتَبقى الأَرضُ بَعدَكَ مِثلَما *** يَبقى المُـناخُ وَتَرحَلُ الرُكبانُ[٣]

أَأُسَـــرُّ فـــي الـــدُنيا بِكُـــلِّ زِيـــادَةٍ *** وَزِيـــادَتي فيهـــا هِـــيَ النُقصـــانُ[٤]

تدور الأبيات حول حقيقة الموت وعدم الخلود في الدنيا وأن الإنسان يتناقص غمره كلّ يوم .فهي تنبيه وتحذير وفي البيت الأول شطران كل مستقل بمعني من

---

(١) أبن سعيد : المغرب في حلى المغرب تحقيق د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ١٩٦٤م، ص ٤٠٦

(٢) يقال دنت فلاناً بما صنع : أي جزيته

(٣) المناخ : مبرك الإبل . والركبان جمع راكب وهو الذي يعلو ظهر البعير وعيره وتقال في راكب أيه وسيلة وتجمع علي ركاب وركبان وركبة وركبة .

(٤) هذا المعني متدوال ، وأشهر من تناوله أبو الفتح البستي في قصيدته المشهورة (ديوانه :٣١٣)

الحكة فالإنسان كما يدين يدان ، والله تعالي في كل مكان وهو لا يحده وكان ولا زمان والدنيا فانية يعمرها أًٌٌٍّلإنسان قليلاً ويمضي سريعا ، ويقول : كيف أسرّ بمرور كل يوم وإنما هو يأخذ من رصيد عمري (١)

وقال الأمير عبد الله في ذكر الموت:

يَامَـنْ يُراوغُـه(٢) الأجلْ *** حَتامَ يُلهيكَ الأمـَلْ

حَتَام.لا تخشي الردَى(٣) *** وكأنـهُ بِكَ قَدْ نـَزلْ

أغفلتَ عن طـَلبِ النَّجاةَ *** ولا نَجـَاةَ لِمنْ غفَـلْ

هَيـهَات يشغلك الرجـَاء *** ولا يـَدُومُ لـكَ الشُّغـُلْ

فَكأنَ يومَكِ(٤) لم يَكـُنْ *** وكـأن نَعيـك لَمْ يزَل(٥)

يدعو الأمير إلي الزهد في الحياة، وعدم الإفراط في الآمال وأن يضع المرء الموت نصب عينيه، ويعمل لما بعده، لا يغفل عن طلب النجاة وهكذا نجد أن شخصية الأمير الحزينة أسبغت عليها الأيام مرارتها وقسوتها حيث بدأ مستسلماً لليأس بعد فشله في استعادة وحدة الدولة والتصدي للأزمات السياسية والاجتماعية التي بلغت ذروتها في عهده مع ظهور مجاعة شديدة.

---

(١)أبو إسحاق اللبيري: الديوان: تحقيق محمد رضوان الدايّه : دار الفكر الطبعة الأولي ١٤١١هـ ١٩٩١ص

(٢) رواغة : داوره، يبدوا مبتعداً عنك، يقترب وبالعكس

(٣) الردى: الموت وكأنه قد نزل: سينزل عما قريب جداً

(٤) إن الأماني الكاذبة تنسيك الموت فلماذا يدوم اشتغالك بالأماني الكاذبة

(٥) د. السيد أحمد عمارة : شعر بني أمية في الأندلس ص ١٤٨.

وقال ابن زمنين يذكر بالموت[١]

الموتُ في كل حينٍ ينشرُ الكفَنَا *** ونَحنُ في غَفْلةٍ عمّا يُراد بنا
لا تطمئن إليَ الدنيا وَبَهْجَتَها *** وإن تَوشحَتَ من أثوابها الحَسنَا
أين الأحِبةُ والجيران، ما فعلوا *** أين الذين هُمُ كَانُوا لنَا سَكَنَا
سَقاهُم الدهر كأساً غير صافيةٍ *** فَصَيرتَهم لأطباق الثرى رُهْنَا[٢]
تَبكِي المنازل منهم كل مُنسجِم[٣] *** بالَمْكرمَات ، وترثي البرَّ والِمننا
حَسبَ الحمأم[٤] لو أبْقَاهم وأمَهلهم *** ألا يَظنُّ على ما فعَلُوه حَسنَا[٥]

في كل حين وكل ساعة يموت إنسان ، والإنسان في غفلة وفي اطمئنان فعلي الإنسان ألا يغتر بهناء العيش وينسى داع الموت الذي يناديه وإن كان في أحسن الأحوال وعلينا أن نأخذ العبرة من موت الأحبة والجيران الذين أحسنوا فهم علي إحسانهم لم يسلموا من الموت

---

(١) هو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عيسى الإلبيري ، ولد في إلبيرة في ذي الحجة من سنة ٣٢٤هـ له تأليف منها تفسير القرآن أصول السنن ، منتخب الأحكام ، قدوة الغازي وغير هذه في الزهد والوعظ وأخبار الصالحين ، توفي في إلبيرة في ربيع الثاني سنة ٣٩٩هـ
عمر فروج : تاريخ الأدب العربي جـ٤ ص٢٥٩

(٢) رهنا: جمع رهن (بسكون الهاء) بين أطباق الثري رهن محبوسون بين طبقات الأرض (موتي).
المنة : المعروف الذي يتبرع به الإنسان لغيره من غير استحقاق .

(٣) المنسجم بالكرمات : كثير الكرم : المنسجم (المطر أو الدمع) السائل المنهمر .

(٤) الحمام : الموت

(٥) المصدر نفسه، ص٢٥٩.

قال : الشيخ أبي الحسن علي بن إسماعيل القرشي الأشبوني [١]

يــــا غــــافلاً شــــأنُهُ الرقـــادُ *** كأنَّمـــــا غِـــــيركِ المـــــرادُ
والمـــوتُ يرعـــاك كـــلَّ حـــين *** فكيـــف لـــم يَجِفُـــك المهـــاد
فهــــــيٍّ زاداً وزد مـــــــزاداً *** فقـــد طـــوي عمـــرك النّفـــاد
إذ سَـــفرُ المـــوت فـــي شـــحْطٍ *** والقـــربُ منـــه هـــو البعـــاد
مـــا حـــالُ ســـفرٍ بغَيـــر زاد *** والأرض قفـــــر ولا مـــــزاد
ضـــمر جـــواداً ليـــوم ســـبقٍ *** لمثلـــــه يُرفـــــع الجـــــواد
أيـــن فـــلانٌ وكـــم فـــلانٍ *** قـــد غُيبـــوا فـــي الثـــري فبـــادوا
لا تبـــغِ دنيـــا فـــانأى عنهـــا *** المؤمـــــن المتقـــــي يـــــزاد
واعبـــر الأرض كيـــف مُـــدّت *** فهـــي لهـــذا الـــورى نهـــاد
ثـــم الســـماء التـــي أطلّـــت *** كمـــا بـــدانا كـــذا نعـــاد[٢]

نجد الشاعر في هذه القصيدة ينادي الغافل ويقول له الموت ينظر لك في كل يوم وأنت في غفلة كأنك لا تراد فيجيب عليك أن تتهيئي وتستعد وتتزود بالتقوى وتسابق بالأعمال الصالحة غيرك ، ويتناول الشاعر قضية خلق السموات والأرض وقضية البعث والمعاد .

---

(١) أشبوني شقباني الأصل ، قرأ العلم بقرطبة وأخذ عن طائفة من علمائها وأكثر من حفظ الاسراب والأشعار حتى ليقال إنه حفظ شعر عشرين امرأة ، وكان مشاركاً في الحديث والفقة ، ثم مال إلي النسك والتقشف ونظم أشعاراً في الزهد ، وأتخذ لنفسه رابطة في رقعة من صبه علي بحيرة شقبان عرفت برابطة الطيطل ولزم بها العبادة إلي أن توفي .

(٢) ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة :تحقيق أحسان عباس ، دار لثقافة بيروت ق ٢: م ٢: ص ٧٩٧

إن أبا إسحاق بن خفاجة[١] الذي عاش مفتوناً بالحياة أسيراً لسحر الطبيعة حليفاً لكأس الخمر في ظل أيكه أو علي متن زورق ينساب علي صفحة نهر ينشيء أبياتاً ويوصي بها لتكتب على قبره ويقول فيها :

خليلــي هــل مــن وقفــه لتــألم *** علــى جــدثي أو نظــرة بترحــم

خليلي هل بعد الردي من مآبه *** وهـل بعـد بطـن الأرض دار محـيم

وإنا حيينا أو ردينا لإخـوة *** فمــن مربــي مــن مســلم فليــسلم

وماذا عليه أن يقول محـييا *** ألا عـم صـباحاً أو يقـول : ألا أسـلم

وفاءً لأشلاءٍ كرمن على البلى *** يعــاج عليهــا مــن رفــات وأعــظم

يردد طوراً آهه الحزن عندها *** ويــزرف طــوراً دمعــة المتــرحم[٢]

يدعو الشاعر أصحابه عند موته لوقفه تألم على قبره ونظرة ترحم لأنه عاش بينهم فعليهم وفاء لهذا أن يسلموا ويترحموا على رفاته وأشلائه ويزرفوا الدموع.

---

(١) ذكره ابن بسام في (الذخيرة) وأشي عليه وقال : كان مقيماً بشرق الأندلس ولم يتعرض لاستماحة ملوكها مع تعافتهم على أهل الأدب ، وله ديوان شعر موجود قد أحسن فيه كل الإحسان عاش ثلاثاً وثمانين سنة وتوفي سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة وهو من جزيرة شقر. صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي : الوافي بالوفيات دار أحياء التراث العربي بيروت لبنان ط ٢٠٠١م ج٦ ص ٥٥.

(٢) مصطفي الشكعة : الأدب الأندلسي موضوعاته ص ٦٣-٦٤.

قال الفيلسوف : أبوبكر بن طفيل[1] في ذكر الموت:

يا باكياً فُرقة الأَحبابِ عن شَحَطٍ *** هَلا بكَيتَ فِراقَ الرُّوحِ للبَدنِ

نُورٌ تَقَيَّد في طِينٍ إلى أجَلٍ *** وانحاز عَنواً وخلَّى الطينَ في الكفَنِ

يا شدَّ ما افترَقا من بَعدِ ما اعتَنَقا *** كأنّها صُحبَةٌ كان على دَخَن

تَنافَسَ الناسُ في الدنيا وقد علموا *** فَيا لَها صَفقَةً بُتَّت على دَغَن[2]

يقول الشاعر لمن يبكي على أحبابه حين بختتفهم الموت أتبكي لفراقهم ولا تبكي لما ينتظرك من فراق الروح للبدنِ، وكأنما كانت الروح نوراً تردد وقتا في طين الجسد ثم تسامي عنه علواً وخلاه للكفن، وإنها لفرقه شديدة بعد امتزجها طول الحياة، كأنما كانت بينهما هدنة غير صافية، ويقول إن اجتماعهما وامتزاجهما إن لم يكن في رضاء الله كان صفقة أو بيعة خاسرة . [3]

---

(١) أبو بكر بن طفيل: هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن عبد الملك القيسي، المتوفى ٥٨١هـ=١١٨٥م، ولد في وادي آش، من إقليم غرناطة، وقد ذكر دي بور أنه ولد في قادس، من أشهر مؤلفاته: (رسالة حي بن يقظان)، و(رسالة في النفس). ابن خلكان، وفيات الأعيان، مصدر سابق، ج٧، ص١٣٤، وعبد الواحد المراكشي، المعجب، مصدر سابق، ج٣، ص٣١١.

(٢) عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان طبعة القاهرة لجنة أحياء التراث الاسلامي طبعة١٩٦٣، ص ٣١٣.

(٣) د. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات الأندلس د. شوقي ضيف ط٣ دار المعارف مصر ص ٣٥.

قال الشاعر الزاهد أبو إسحاق في ذكر الموت:

تغــازلني[١] المنيــة مــن قــريب *** وتلحظنــــي ملاحــــظة الرقيــــب

وتنشــر لـــي كــتابا فـــيه طـــي *** بخـــط الّـــدهر أســـطر مشـــيبي

كتـــابٌ فـــي معانيـــة غمـــوضٌ *** يـــــلوح لـــــكل أوّاب منيــــــب

أري الْإعصار[٢]تعصر ماء عُودي *** وقـــدماً كنـــت وريـــان القضـــيب

أدال[٣] الشـيب يـا صـح شـبابي *** فعوضـت البغـيض مـن الحبيـب

وبُـدلت التثاقــل مــن نشـــاطي *** ومـن حسـن النـضارة بالشـحوب

كـذلك الشـمس يعلوهـا اصـفرار *** إذا جنحـت[٤] ومـــالت للغـــروب

أدار الشاعر هذه الأبيات علي موضوع الموت باعتباره نذيراً مهماً ينذر الإنسان (بترقبه وظهور معالمه) وجعل الأبيات من ١-٣ مقدمة ومدخلاً ومن ٤-٧ تحدث عن ذهاب الشباب وقدوم الشيب وهو نذير للموت [٥].

---

(١) يقال غازل النساء : حادثهن ولها معهن

(٢) الإعصار :جمع العصر ، يقال عصور وأعصر وعصر
العصر يطلق علي كل مدة ممتدة غير محدودة . وأراد بها السنين

(٣) أدال : أي غالب الشيب الشباب . وفي كتب اللغة : أدالة الله من عدوه : كانت له الغلبة والنصرة والدولة عليه.

(٤) جنحت : بمعني مالت

(٥) الإلبيري، الديوان، ص٣٦-٣٧

المبحث الثالث

الخوف من الله واجتناب سخطه

قال أبو إسحاق الإلبيري:

فَلَـو بَكَـت الـدَما عَينـاكَ خَوفـاً *** لِـذَنبِكَ لَـم أَقُـل لَـكَ قَـد أَمِنتـا

وَمَـن لَـكَ بِالأَمـانِ وَأَنـتَ عَبـدٌ *** أُمِـرتَ فَمـا اِئتَمَـرتَ وَلا أَطَعتـا

ثَقُلتَ مِنَ الذُنوبِ وَلَستَ تَخشى *** لِجَهلِـكَ أَن تَخِـفَّ إِذا وُزِنتـا

وَتُشفِقُ لِلمُصِرِّ عَلى المَعاصي *** وَتَرحَمُـهُ وَنَفسَـكَ مـا رَحِمتـا

رَجَعتَ القَهقَرى وَخَبَطتَ عَشوا *** لَعَمـرُكَ لَـو وَصَـلتَ لَمـا رَجَعتـا

وَلَـو وافَيـتَ رَبَّـكَ دونَ ذَنـبٍ *** وَناقَشَـكَ الحِسـابَ إِذاً هَلَكتـا

وَلَـم يَظلُمـكَ فـي عَمَـلٍ وَلَكِـن *** عَسـيرٌ أَن تَقـومَ بِمـا حَمَلتـا

وَلَـو قَد جِئتَ يَومَ الفَصلِ فَرداً *** وَأَبصَـرتَ المَنـازِلَ فيـهِ شَـتّى

لَأَعظَمـتَ النَدامَـةَ فيـهِ لَهَفـاً *** عَلى ما في حَياتِكَ قَد أَضَعتا[١]

---

(١) الإلبيري: الديوان: ص ٣٢.

يدعو الشاعر إلي الخوف من الله ومن الذنوب، والله سبحانه وتعالي لا يظلم الناس مثقال ذرة فإن عملوا خيراً كان خيراًً لهم وإن عملوا شراً فلا يلومون إلا أنفسهم، فعلي الإنسان أن لا يضيع حياته في ارتكاب المعاصي والذنوب لانه سوف يندم عندما يقف بين يدي الله تعالي يوم الحساب

قال بكار بن داؤد المرواني(١)

ثـــق بالــــذي ســـوّاك مـــن *** عـــــدم فإنــــك مـــن عـــدم
وأنظـــر لنفســـك قبـــل قـــرع *** الســـن مـــن فـــرط النـــدم
وأحـــذر وقيـــت مـــن الـــورى *** وأصحـــــبهم أعمـــــي أصَـــمْ
قـــد كنـــت فـــي تيـــهٍ إلـــي أن *** لاح لـــــي أهـــــدى عـــــلم
فاقتـــــدتُ نحـــــو ضـــــيائه *** حتـــي خرجـــت مـــن الظـــلم
لكـــــن قناديــــــل الهـــــوي *** فـــي نـــور رشـــدي كـــالحُمَمْ (٢)

---

(١) ذكر صاحب سفط اللألي: أنه من ولد عبد الله بن / عبد الملك بن مروان. مولده في صفر سنة٤٠٤هـ، في مدينة شنترة، ثم أنتقل إلي قرطبة، ثم أستوطن أشيونه ، وكان غاية في الزهد، مطرحاً لنفسه ومات في جهاد العدو.

(٢) د. السيد أحمد عمارة : شعر بني أميه في الأندلس مكتبة المتنبي مصر، ط٢، ٢٠٠١م، ص١٤٨.

يدعو الشاعر كل إنسان أن يضع ثقته في خالقه وأن يفكر في أمر نفسه، وما ينبغي أن ينهض به من عبادة ويتدبر مآله ويعمل لمعادة فبل أن يتفلت العمر من يديه، فبعض بنان الندم علي ما فرط في جنب خالقه ولات ساعة مندم، ثم يحذره من شرار الخلق وأن يصعب الناس علي حذر.

قال الإلبيري: .

أَتَيتُــكَ راجِيــاً يـــا ذا الجَـــلالِ *** فَفَـرِّج مـا تَـرى مِـن سـوءِ حـالي

عَصَـيتُكَ سَـيِّدي وَيلـي بِجَهلـي *** وَعَيـبُ الـذَنبِ لَـم يَخطُـر بِبـالي

إِلـى مَـن يَشـتَكي المَملـوكُ إِلّا *** إِلـى مَـولاهُ يـا مَـولى المَـوالي

لَعَمـري لَيـتَ أُمّـي لَـم تَلِـدني *** وَلَـم أُغضِـبكَ فـي ظُلَـمِ اللَيـالي

فَهـا أَنـا عَبـدُكَ العاصـي فَقيـرٌ *** إِلـى رُحمـاكَ فَاِقبَـل لـي سُـؤالي

فَـإِن عاقَبـتَ يـا رَبّـي تُعاقِـب *** مُحِقّـاً بِالعَـذابِ وَبِالنَكـالِ[1]

وَإِن تَعـفُ فَعَفـوُكَ قَـد أَرانـي *** لِأَفعـالي وَأَوزاري الثِقـالِ[2]

في هذا النص ابتهال ورجاء واعتراف بالتقصير وتلوم ذاتي ، ورغبة ملحة في طلب العفو والمغفرة من الله عز وجل .

---

(١) النكال : العقاب أو النازلة ؛ وفي التنزيل العزيز : (فجعلناه نكالاً بين يديها وما خلفها) البقرة ٢/٦٦
و : (جزاءً بما كسبا نكالاً من الله) المائدة ٥/٣٨

(٢) الإلبيري، الديوان، ص ١٣٩

قال ابن حمديس الصقلي[1]

يـا ذنـوبي ثَقَّلْـتِ واللّـه ظَهْـري *** بـانَ عُـذْري فكيـفَ يُقْبَـلُ عـذري
كلَّمـا تُبْـتُ سـاعةً عُـدْتُ أُخـرى *** لِضُـروبٍ مـن سـوءِ فِعلـي وهُجـري
ثَقُلَـتْ خَطْـوَتي وفَـوْدي تَفَـرّى *** غَيْهَـبُ اللَّيـلِ فيـه عـن نُـورِ فجـرى
دب مـوت السـكون فـي حركـاتي *** وخبـا فـي رمـاده حُمـرُ جمـري
وأنـا حيـثُ سـرْتُ آكـلُ رزقـي *** غيـر أنّ الزمـانَ يأكـل عمـري
كلَّمـا مَـرَّ مِنـهُ وَقـتٌ بِـربحٍ *** من حياتي وجدتُ في الرِّبحِ خسري
يـا رفيقـاً بعبـده ومحيطـاً *** عِلْمُـهُ بـاختلافِ سـرّي وجهـري
مِـلْ بقلبـي إلـى صَـلاحِ فسـادي *** منـه، واجبـرْ برأفـةٍ منـك كسـري
وأَجِرْنـي ممّـا جَنـاهُ لِسـاني *** وتَناجـتْ بـه وسـاوسُ فِكـري[2]

نجد الشاعر في هذه الأبيات يتحسر علي ليالي صباه الناضرة والبكاء علي أيام الشباب الغابرة وبينما هو يذكر أهوال الموت فيرتعد ويتمثل آخرته وأهوال الحساب فيبدي ندمه وأسفه علي ما فات ويعلن توبته إلا أنه سرعان ما يعود ليحن إلي التعلق بمباهج الحياة وبهذا كان الشاعر يلجأ إلي الله في كل خواتيم زهدياته ليبد خوفه ويزيل وساوسه .

---

(١) هو : أبو محمد عبد الجبار بن أبي بكر بن محمد حمديس الأزدي الصقلي ، الشاعر المشهور قال ابن بسام في حقه هو شاعر ماهر يقرطس أغراض المعاني البديعة ويعبر عنها بالألفاظ النفسية الرفيعة ويتصرف في التشبيه المعين ويغوص في بحر الكلم علي درّ المعني الغريب.
ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ ١ ص ٢٤٥

(٢) عبد العزيز عتيق: الأدب العربي في الأندلس: مرجع سابق، ص٢٢٤-٢٢٥.

قال أبو الصلت أمية بن عبد العزيز[١]

سَـكَنتُكِ يـا دارَ الفَنـاءِ مُصَـدِّقا *** بِـأَنّى إِلـى دارِ البَقـاء أَصـيرُ
وَأَعظَـمُ مـا فـي الأَمـرِ أَنّـي صـائِرٌ *** إِلـى عـادِلٍ فـي الحُكـمِ لَـيسَ يَجـورُ
فَيـا لَيـتَ شِـعري كَيـفَ أَلقـاهُ بَعـدَها *** وَزادي قَليـلٌ وَالـذُنوبُ كَثيـرُ
فَـإِن أَكُ مُجزيّـاً بِـذَنبي فَـإِنَّني *** بِحَـرِّ عَـذابِ المُـذنِبينَ جَـديرُ
وَإِن يَـكُ عَفـو ثُـمَّ عَنّـى وَرَحمـة *** فَـثَمَّ نَعـيمٌ دائـر وَسُـرورُ[٢]

نجد أن الشاعر متيقن بأن الدنيا دار فناء و لا تدوم لأحد، وأن هنالك دار البقاء، وأنه سيرجع إلي الله تعالي الحكم العدل، ولكنه يخاف من كثرة الذنوب وقلة الزاد فإنه يرجو العفو والمغفرة من الله والفوز بالنعيم الدائم .

---

(١) هو أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت الأندلسي الداني كان فاضلاً في علوم الآداب، صنف كتابه الذي سماه (الحديقة) علي أسلوب يتجه الدهر للثعالبي ، وكان عارفاً بفن الحكمة، وكان يقال له الأديب الحكيم انتقل من الأندلس وسكن ثغر الاسكندرية ، وذكر العماد الكاتب في الخريدة وأثني عليه توفي سنة ٥٢٨
ابن خلكان : وفيات الأعيان : جـ١ ص ٢٤٢
(٢) الأبيات في نفح الطيب : جـ٢ : ص ٢٦٣

المبحث الرابع

الحث علي العلم الديني والانصراف عن الملذات

نزل القرآن الكريم علي قوم آمنين فكانت فاتحة نزوله قوله تعالي (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)[١] وهي دعوة للقراءة وطلب العلم والحث عليه وقد رفع الإسلام منزلة العلم والعلماء فكان أكثر الناس خشيه لله العلماء قال تعالي (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء)[٢].

أخرجت بلاد الأندلس الكثير من العلماء في مختلف العلوم مثل علم الطب والفلسفة والتأريخ وغيرها فنجد من العلماء من ألف المجلدات الضخمة والكتب النفيسة أمثال الإمام ابن حزم وابن خلدون والوزير الكاتب ابن زيدون وابن حيان وغيرهم.

وشعراء الأندلس علي مر العصور قد تناولوا موضوع العلم وحثوا عليه وأشهر من تحدث في هذا المجال الشاعر أبو إسحاق الإلبيري

---

(١) سورة العلق، الآية ١.

(٢) سورة فاطر، الآية ٢٨.

قال الإلبيري في الحث على العلم:

أَبــا بَكــرٍ دَعَوتُــكَ لَــو أَجَبتــا *** إِلــى مــا فيــهِ حَظُّــكَ إِن عَقَلتــا

إِلــى عِلــمٍ تَكــونُ بِــهِ إِمامــاً *** مُطاعــاً إِن نَهَيــتَ وَإِن أَمَرتــا

وَتَجلـو مـا بِعَينِـكَ مِـن عَشـاها[١] *** وَتَهــديكَ السَــبيلَ إِذا ضَــلَلتا

وَتَحمِـلُ مِنــهُ فــي ناديـكَ تاجـاً *** وَيَكســوكَ الجَمــالَ إِذا اِغتَرَبتــا

يَنالُــكَ نَفعُــهُ مــا[٢] دُمــتَ حَيّـاً *** وَيَبقــى ذُخــرُهُ لَــكَ إِن ذَهَبتــا

هُـوَ العَضـبُ المُهَنَّـدُ لَـيسَ يَنبـو *** تُصــيبُ بِــهِ مَقاتِــلَ ضَــرَبتا

وَكَنــزاً لا تَخــافُ عَلَيــهِ لِصّــاً *** خَفيفَ الحَملِ يوجَدُ حَيثُ كُنتـا[٣]

يَزيــدُ بِكَثــرَةِ الإِنفــاقِ مِنــهُ *** وَيــنقُصُ أَن بِــهِ كَفّــاً شَــدَدتا

دعا الشاعر من أسماه أبابكر إلي العلم النافع وبين منزلة العلم وحلاوته وأن العلم يهدي السبيل وهو التاج المرفوع في الحل والترحال وهو النافع في الموت والحياة وشبهه بالكنز الخفيف الحمل يزيد بكثرة الانفاق وينقص بعدم الانفاق منه [٤].

---

(١) العشا : ضعف البصر

(٢) العضب : السيف القاطع والمهند : السيف : وأصل معناه من هند السيف أي شحذه أو هو منسوب الي الهند (المطبوع من حديد الهند)

(٣) من شعر الشافعي رضي الله عنه (ديوانه ص١٠٠)

(٤) الإلبيري، الديوان ص ٢٥

قال الإلبيري أيضاً:

فَلَـو قَـد ذُقـتَ مِـن حَلـواهُ طَعمـاً *** لَآثَـــرتَ الـــتَعَلُّمَ وَاِجتَهَـــدتا

وَلَـم يَشـغَلَكَ عَنـهُ هَـوى مُطـاعٌ *** وَلا دُنيـــا بِزُخرُفِهـــا فُتِنتـــا

وَلا أَلهـاكَ عَنـهُ أَنيـقُ رَوضٍ *** وَلا خِـدرٌ(١) بِرَبرَبِـهِ(٢) كَلِفتـا

فَواظِبـهُ وَخُـذ بِالجِـدِّ فيـهِ *** فَـإِن أَعطاكَـهُ اللَـهُ أَخَـذتا

وَإِن أوتيـتَ فيـهِ طَويـلَ بـاعٍ *** وَقـالَ النـاسُ إِنَّـكَ قَـد سَـبَقتا

فَـلا تَـأمَن سُـؤالَ اللَـهِ عَنـهُ *** بِتَـوبيخٍ عَلِمـتَ فَهَـل عَمِلتـا

فَـرَأسُ العِلـمِ تَقـوى اللَـهِ حَقّـاً *** وَلَـيسَ بِـأَن يُقـالَ لَقَـد رَأَسـتا

علي الإنسان ألا ينشغل بهذه الدنيا وعليه الاشتغال بالعلم النافع لأنه غذاء الروح. وكل إنسان مسئول عن علمه يوم القيامة.ورأس العلن وفائدته تقوي الله سبحانه وتعالي (٣).

---

(١) الخدر (بالكسر) ستر للجارية في البيت: وكل ما واراك من بيت ونحوه .

(٢) الربرب : القطيع من بقر الوحش . شبه النساء الجميلات بالبقر الوحشي .

(٣) الإلبيري، الديوان ص ٢٦

وقال أيضاً:

إذا مــا لَــم يُفِــدكَ العِلــمُ خَيــراً *** فَخَيــرٌ مِنــهُ أَن لَــو قَــد جَهِلتــا[١]
وَإِن أَلقــاكَ فَهمُــكَ فــي مَهــاوٍ *** فَلَيتَــكَ ثُــمَّ لَيتَــكَ مــا فَهِمتــا
سَتَجني مِن ثِمارِ العَجزِ جَهلاً *** وَتَصغُرُ في العُيونِ إِذا كَبُرتا[٢]
وَتُفقَدُ إِن جَهِلتَ وَأَنتَ باقٍ *** وَتوجَدُ إِن عَلِمتَ وَقَد فُقِدتا
وَتَذكُرُ قَولَتي لَكَ بَعدَ حينٍ *** وَتَغبِطُها[٣] إِذا عَنها شُغِلتا
إِذا أَبصَرتَ صَحبَكَ في سَماءٍ[٤] *** قَد اِرتَفَعوا عَلَيكَ وَقَد سَفَلتا
فَراجِعها وَدَع عَنكَ الهُوَينى[٥] *** فَما بِالبُطءِ تُدرِكُ ما طَلَبتا

يشير الشاعر في البيت الأول إلي العلم النافع. وعلي الإنسان أن يختار لعلم النافع لأنه سيجني الثمار الطيبة علي عكس العلم الضار والإنسان بدون العلم كالميت بين الأحياء وإذا مات فعلمه باق لا يفنى ويدعو الشاعر إلي الهمة والإسراع في طلب العلم لأنه يرفع صاحبه [٦]

(١) في الدعاء المشهور: (اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع) وفيه سلوا الله علماً نافعاً . واللهم إني أسألك علماً نافعاً).
(٢) كَبُر : عَظُمَ، وهو يريد معني التكبر والتعاظم.
(٣) تغبطها : أي تتمني الحصول عليها(بعد تصنيعها أو التشاغل والانشغال عنها)
(٤) في سماء : أي في منزلة عالية (مادياً ومعنوياً)
(٥) الهويني : التودة والرفعة والسكينة والوقار
(٦) الإلبيري، الديوان، ص ٢٧

وأيضاً قال:

سَيَنطِقُ عَنكَ عِلمُكَ في نَدِيٍّ[١] *** وَيُكتَبُ عَنكَ يَوماً إِن كَتَبتا

وَما يُغنيكَ تَشييدُ المَباني *** إِذا بِالجَهلِ نَفسَكَ قَد هَدَمتا

جَعَلتَ المالَ فَوقَ العِلمِ جَهلاً *** لَعَمرُكَ في القَضِيَّةِ ماعَدَلتا

وَبَينَهُما بِنَصِّ الوَحيِ بَونٌ[٢] *** سَتَعلَمُهُ إِذا طَهَ قَرَأتا

لَئِن رَفَعَ الغَنِيُّ لِواءَ مالٍ *** لَأَنتَ لِواءَ عِلمِكَ قَد رَفَعتا

وَإِن جَلَسَ الغَنِيُّ عَلى الحَشايا[٣] *** لَأَنتَ عَلى الكَواكِبِ قَد جَلَستا

وَإِن رَكِبَ الجِيادَ مُسَوَّماتٍ[٤] *** لَأَنتَ مَناهِجَ التَقوى رَكِبتا[٥]

يقول الشاعر سيتحدث عنك علمك في المجتمع ولا ينفعك تشييد المباني وما ملكت من الأموال إذا كنت جاهلاً كأنك تهدم نفسك بالجهل بجعلك المال فوق العلم فإنك لم تعدل في القضية فالعلم أرفع منزلة .

---

(١) الندي والنادي : مجتمع القوم.

(٢) قال البلوي (ألف با ١٣/١) معلقاً علي إشارة البيت بريد قوله (وقل رب زدني علماً)

(٣) الحشايا : جمع الحشية : الفراش المحشو ، وهو كما في مثني اللغة – المعروف في الشام بالطراحة . وما تزال الكلمة حية في ديار الشام .

(٤) سوم الفرس : أعلمه بسومة. والسومة السمة والعلامة.

(٥) الإلبيري، الديوان، ص٢٨.

المبحث الخامس

أخذ العبرة من تجارب الآخرين

قال محمد بن إبراهيم العامري النحوي في أخذ العبرة:

لـــئن نفـــذ القـــدر الســـابق *** بمـــوتي كمـــا حكـــم الخـــالق

فـــقد مـــات والـــدنا آدم *** ومـــات محمـــدٌ الصـــادق

ومـــات الملـــوك وأشـــياعهم *** ولـــم يبـــق مـــن جمـــعهم نـــاطق

فقـــل للـــذي سَّـــره مهـــلكي *** تأهـــب فإنـــك بـــي لاحـــق[١]

يقـول الشـاعر لـئن مـت فهـذا حكـم الله وقـدره فقد قـدر المـوت علـي جميـع الخلائق بما فيهم أول خلق من البشر وهو أبونا آدم عليه السلام وسيدنا محمد صلي الله عليـه وسـلم أفضـل خلـق الله جميعاً، ومـات الملـوك وحاشيتهم فعلـي الإنسـان ألا يفرح بهذه الدنيا فإن لم يمت اليوم فسوف يموت غدا وعليه أن يأخذ العظة والعبرة من غيره .

---

(١) مصطفى الشكعة: الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، ص٦٤.

وقال الإلبيري :

أَنــتِ السَــرابُ وَأَنــتِ داءٌ كــامِنٌ *** بَـــينَ الضُــلوعِ فَمــا أَعَــزَّ دَواكِ
يُعصى الإِلَـهُ إِذا أُطِعتِ وَطـاعَتي *** لِلَــهِ رَبّــي أَن أَشُــقَّ عَصــاكِ
فَــرضٌ عَلَينــا بِرُّنــا أُمّاتِنــا *** وَعُقــوقُهُنَّ مُحَــرَّمٌ إِلّاكِ
ما إِن يَدومُ الفَقرُ فيكِ وَلا الغِنى *** سِــيّانُ فَقــرُكِ عِنــدَنا وَغِنــاكِ
أَيـنَ الجَبـابِرَةُ الأُلـى وَرِياشُـهُم[1] *** قَـد باشَـروا بَعـدَ الحَريـرِ ثَـراكِ
وَلَطالَمــا رُدّوا بِأَردِيَــةِ البَهــا[2] *** فَتَعَوَّضــوا مِنهــا رِداءَ رَداكِ
كانَــت وجـوهُهُمُ كَأَقمــارِ الـدُجا *** فَغَـدَت مُسَـجّاةً بِثَـوبِ دُجـاكِ[3]

يروي لنا الشاعر من خلال هذه القطعة الشعرية حديث متخيل بينه وبين الدنيا بأنها خادعة وهي السراب بل هي كالداء الكامن بين الضلوع ويريد الشاعر بعبارة شق العصا في البيت الثاني، مخالفتها وأتباع أوامر الله واجتناب نواهيه. ورأي في ختام الأبيات أخذ العظة والعبرة بمن مضى من الجبابرة والعظماء

---

(١) الرياش والريش : بمعني، وهو اللباس الفاخر.

(٢) قول الشاعر ردوا بأردية البهاء : يقال : رداه : أي ألبسه الرداء . والبها ، هي البهاء سُهلت الهمزة .

(٣) الإلبيري، الديوان: ص ٤٣.

وقال أيضاً:

أَينَ المُلوكُ وَأَينَ ما جَمَعوا وَما *** ذَخَروهُ مِن ذَهَبِ المَتاعِ الذاهِبِ

وَمِنَ السَوابِغِ[١] وَالصَوارِمِ[٢] وَالقَنا[٣] *** وَمِنَ الصَواهِلِ[٤] بُدَّنٍ[٥] وَشَوازِبِ[٦]

كانَت سَوابِقُها تُحَمِّلُ مِنهُمُ *** أَقمارَ أَندِيَةٍ وَأُسدَ كَتائِبِ

كانوا لُيوثَ خَفِيَّةٍ لَكِنَّهُم *** سَكَنوا غِياضَ أَسِنَّةٍ وَقَواضِبِ

كانوا لُيوثَ خَفِيَّةٍ لَكِنَّهُم *** سَكَنوا غِياضَ أَسِنَّةٍ وَقَواضِبِ

قَصَفَتهُم ريحُ الرَدى وَرَمَتهُمُ *** كَفُّ المَنونِ بِكُلِّ سَهمٍ صائِبِ[٧]

ذكر الشاعر كثيراً من متاع الدنيا من الذهب والمال والأسلحة المختلفة ومن الخيل العتاق وذكر تقلب من خلا في تلك النعم مع القوة والبأس ولكن حكم القضاء الحتم جاء عليهم . وكل شيء هالك إلا وجهه .

---

(١) السوابغ : جمع سابغة : الدروع

(٢) الصوارم : السيوف

(٣) القنا : جمع قناة : الرمح

(٤) الصواهل : جمع صاهل : الفرس :

(٥) بدن : جمع بادن : الجسم

(٦) شازب : الجمع الشوازب : ضامر

(٧) الألبيري: الديوان: ص١٣٢–١٣٣.

وقال أبو بكر المغيلي[1]

تبـــين فقـــد وضـــح المعلـــمُ *** وبـــان لـــك الأمـــر لـــو تفهـــمُ

هـــو الدهـــر لســـت لـــهُ آمنـــا *** ولا أنـــت مـــن صـــرفه تســـلمُ

وأن أخطاتـــك لـــه أســـهمٌ *** أصـــابتك بعـــدً لـــه أســـهمُ

لياليـــه تـــدني إليـــك الـــرّدي *** دوائـــب فـــي ذاك لا تـــسأمُ

أتـــفرح بـــالبُرءِ بعـــد الضّـــنا *** وفـــي البـــُرءِ داؤك لـــو تعلـــمُ

فـــأين الملـــوك وأشـــياعهم *** ودنيـــاهُمُ أدبـــرت عـــنهمُ

فهـــذي القـــبور بهـــم عمـــرت *** وتلـــك القصـــور خلـــت مـــنهمُ[2]

يدعو الشاعر في هذه الأبيات إلي التبصر في هذا الكون وفهمه الفهم الصحيح، وعلي الإنسان إلا يأمن الدهر، فإن أخطائه المصائب يوماً ستحل عليه في يوم آخر. وعليه أن يأخذ العبرة ممن سبقه من الأمم الأخرى أين الملوك ماذا فعل الدهر بهم هل أبقاهم في عروشهم وقصورهم؟ لا بل عمرت بهم القبور وآل مصيرهم إلي الموت.

---

(١) ترجم له الحميدي في الجذوة ص ٣٦٨ وقال : إنه كان لعهد الحكم المستنصر، وقال في مناسبة هذه الأبيات المذكورة هنا إنه نظمها لأبي بكر اللؤلوي إثر عله اعتلها يعظه.
وترجم له ابن الفرضي في تاريخ علماء الأندلس وقال توفي سنة ٣٦٢هـ.
أبن أبي سعيد المغرب في حلي المغرب ص ٣١٣

(٢) المرجع السابق ص ٣١٣ – ٣١٤

قال الأعمى التطيلي [١] في أخذ العبرة :

تَنـافَسَ النـاسُ فـي الـدنيا وقـد علمـوا *** أن سـوف تقتلُهُمْ لذّاتُهُمْ بددا

قلْ للمحـدِّثِ عنْ لقمانَ أو لُبَد *** لم يتركِ الدهـرُ لقماناً ولا لبدا

وَللَّذي هَمُّه البـنيانُ يَرْفَعُهُ *** إنّ الردى لم يغادرْ في الشَّرَى أَسَدا

مـــا لابـــنِ آدمَ لا تَفْنَـــى مَطَالِبُـــهُ *** يَرْجُو غداً وعسى أنْ لا يبِشَ غدا [٢]

يقول الشاعر تنافس الناس في الدنيا وهم يعلمون أن نهايتهم سوف تكون بالموت فأين لقمان؟ وأين لبد؟ ويتعجب الشاعر من الإنسان فهو في طمع دائم ولا يعرف متى يكون موته وهلاكه يرجو اليوم وربما كان موته غدا.

(١) هو أحمد بن الأعمي التطيلي (أبو جعفر) شاعر اندلسي ، من آثاره: ديوان شعر ، ولد ٥٢٥هـ عمر رضا كحاله : معجم المؤلفين ، جـ٤ ، ص١٦١.

(٢) د. مصطفي الشكعة : الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه ص ٦٢-٦٣.

لسان الدين الخطيب[1] في أخذ العبرة :

خُـذْ مـنْ حَياتِـكَ للمَمـاتِ الآتـي *** وبَدارِ ما دامَ الزّمـانُ مُواتِي

لا تَغْتَرِرْ فهُوَ السّرابُ بقِيعَةٍ *** قدْ خودِعَ الماضِي بهِ والآتي

يا مَنْ يُؤمِّلُ واعِظـاً ومُذَكِّراً *** يوْماً لِيوقِظَـهُ منَ الغَفَلاتِ

هَلاّ اعْتَبَرْتَ وَيا لَها منْ عَبْرة *** بمـدافِنِ الآباء والأمّهاتِ

قِفْ بالبَقيعِ ونادِ في عَرَصاتِه *** فلَكَمْ بِها منْ جِـيرَةٍ وَلِداتِ

دَرَجوا ولَستُ بخالِدٍ منْ بَعْدِهِمْ *** مُتَميِّزٍ عنْهُمْ بوَصفِ حَياةِ

واللهِ مـا اسْـتَهْلَلْتَ حَيّـاً صـارِخاً *** إلا وأنتَ تُعـدّ في الأمْواتِ[2]

يدعو الشاعر الإنسان أن يأخذ من حياته لموته ويبادر بالأعمال الصالحة قبل مجيء الموت وعليه ألا ينخدع بهذه الدنيا الغرور فهي كالسراب وعليه أن يعتبر وينظر إلي قبور الآبار والإمهات واللدات فأنه ليس خالد في هذه الدنيا فإن مصيره إلي الموت وصرخة الاستهلال تدل على ذلك .

---

(١) لسان الدين هو محمد بن عبد الله بن سعيد لن على بن أحمد السلماني القرناطي ، قرطبي الأصل أبو عبد الله لسان الدين ويعرف بابن الخطيب الإمام الأوحد الفذ صاحب الفنون المنوعة التآليف العجيبة ذو الوزارتين قراء القرآن علي يد الشيخ صالح ابي عبد الله العواد العربية علي يد أبي الحسن القيجاطي أبي القاسم بن جزي وألف تآليف عديدة أكثرها في الأدب والتأريخ والطب منها كتاب الاحاطة في تأريخ قرناطة .

ولد عام ٧١٣هـ وتوفي مقتولاً عام ٧٧٦هـ .

أحمد بابا التنبكتي : نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، تحقيق د/ علي عمر ، ط مكتبة الثقافة الدنية القاهرة ٢٠٠٤م ،ج٢ ، ص١٠٤.

(٢) المقري: نفح الطيب : ج٨ ، ص ٣٩ –٤٠.

الفصل الرابع

الصورة الفنية في

شعـــر الزهــد عند الأندلسيين

المبحث الأول

عناصر الصورة الفنية في شعر الزهد

مفهوم الصورة الفنية : .

تعد الصورة الفنية من المكونات الهامة للعمل الأدبي إذ أنها تشكل العنصر الجمالي فيه.

والصورة الفنية هي جوهر الشعر ومن أدواته التي يستعين بها الشاعر في جلاء تجربته الشعرية، فهي التي تحمل طابع الشاعر الخاص في تصوير مشاعره أفكاره وذلك عن طريق حواسه وانطباعاته في تصوير مشهد أو موقف معين.

والشاعر حين يصّور تجربته الشعرية فإن الصورة الفنية هي التي تحرك طاقاته الكامنة ومشاعره الخاصة كي يعبر عن انفعاله وفق إدراكه الجمالي .

والعنصر الذي يحرك هذه الطاقات وتلك المشاعر هو العنصر الحسي الذي يحرك طاقة الخيال لدي الفنان ويلعب الخيال دوره الهام في التصوير الفني فهو الذي يعين الأديب أو الفنان في رسم لوحته الفنية .

وهنا يشترك فن الشعر مع غيره من الفنون في الاستعانة ببعض الأدوات لرسم الصورة التي يتخيلها الرسام لتظهر في النهاية بشكلها الجمالي الذي يؤثر في النفوس.

ولعل أول قول نقدي قارن بين الشعر والرسم هو قول الجاحظ:

(فإنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير) [١] .

والتصوير الفني هو الذي يعبر بالصورة المتخيلة عن المعني الذهني وحالة الشاعر النفسية، فتظهر صورته وقد استوت لها كل عناصر التخيل وذلك عن طريق الألفاظ التي يستخدمها، والمعاني التي يقصدها والأنغام التي يختارها فإذا أضاف إليها الحوار يكون قد منحها الحياة والحركة وكثيراً ما يشترك الوصف، والحوار وجرس الكلمات، ونغم العبارات وموسيقى السياق في إبراز صورة من الصور. [٢]

يقاس نجاح الصور في مدي قدرتها علي تأدية المهمة، كما إن حكمنا علي جمالها أو دقتها يرجع إلي مدي ما استطاعت الصورة أن تحققه من تناسب بين حالة الفنان الداخلية وما يصوره في الخارج تصويراً دقيقاً خالياً من الجفوة والتعقيد فيه روح الأديب وقلبه. بل أن الصورة الشعرية هي العقل الإنساني الذي يطلب قرابة مع كل حي، أو كان حياً جاعلاً مطلبه حسناً، ولهذا فإنه يوجد خلال كل استعارة تشابهاً بين المواد الخارجية .

وقد تنبه إلي هذه الناحية النقاد العرب قديماً فأشعر الناس (من أنت في شعره حتى تفرغ منه) وهذا الحكم له دلالة مهمة تقوم علي أنه ينبغي أن يكون هناك اتحاد بين الذات المعبرة والموضوع منه، بحيث يعيش الشاعر موضوعه بكل أحاسيسه

---

(١) الجاحظ: الحيوان : تحقيق عبد السلام هارون : الطبعة الثالثة، دار الكتاب العربي لبنان ص ١٣٢

(٢) سيد قطب: التصوير الفني في القرآن الكريم: ط دار الشروق القاهرة ص ٣٣

وانفعالاته، ويعكس ما أحس به ليجعلنا نعيش نحن في شعره فنحس بما أحس وننفعل بما أنفعل به.

والشاعر في شعره (يجعل من الطبيعة ذاتاً ومن الذات طبيعة خارجية. ومن هنا كانت الصورة ميدان العمل الذي يبرز مقدرة الشاعر ومدي تمكنه من الصنعة[١].

ومما جاء في اصطلاح النقاد عن مفهوم الصورة فإن الصورة في الأدب تستعمل عادة للدلالة علي مآله صلة بالتعبير الحسي وتطلق أحياناً مرادفة للاستعمال الاستعاري للكلمات .واستعمال الصورة هذا الاستعمال حديث في عالم النقد والبلاغة وكان العرب قديماً يستعملون لفظ (الاستعارة) للدلالة علي بعض ما تدل عليه كلمة (الصورة) لان مدلولها يتسع حيث يشمل مدلول بعض الألفاظ مثل: (التشبيه، والكناية، والمجاز) [٢]

---

(١) د. عبد الفتاح صالح نافع: الصورة في شعر بشار بن برد: دار الفكر للنشر والتوزيع. عمان ١٩٨٣ص٥١- ٥٢

(٢) صلاح عبد الفتاح الخالدي : نظرية التصوير الفني " ط حطين الأردن ص ٥٧

عناصر التشكيل الفني:

التشبيه ودوره في تشكيل الصورة:

التشبيه فني بياني كثير الدوران علي ألسنة الشعراء والأدباء، فقد أدرك الشعراء والأدباء، فقد أدرك الشعراء ما للتشبيه من قيمة فنية، ما يتيح لهم من التصرف في القول، فعنوا به، واتخذوا منه أداة لتصوير الخلجات النفسية التي تعتمل في دواخلهم كما صوروا به الأفكار، وأخرجوها به عند تجريدها، ولهذا تجده كثيراً في أشعارهم ومأثور كلامهم. يضاف إلى ذلك أن التشبيه وسيلة بيانية متعددة الأغراض، فقد ذكر البلاغيون من أغراضه أن يدلك على إمكانية وجود المشبه أنه يبين حاله، وأنه يبين مقدار حاله من الزيادة والنقصان. وأنه يقرر حالة في نفس السامع وأنه يزين المشبه ونحو ذلك. (١)

وأقوى أنواع التشبيه التشبيه البليغ وهو ما ذكر فيه الطرفان فقط وحذف منه الوجه والأداة وسبب تسميته بذلك أن حذف الوجه والأداة يوهم باتخاذ الطرفين وعدم تفاضلهما فيعلو المشبه إلى مستوى المشبه به، وهذه هي المبالغة في قوة التشبيه، وأما ذكر الأداة فيفد المشبه وعدم إلحاقه بالمشبه به، كما أن ذكر المشبه يفيد تغيير التشبيه وحصره في جهة واحدة. (٢)

---

(١) أبو هلال العسكري: الصناعيين، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط١٩٥٢، ص٢٣٩.

(٢) المراغي: علوم البلاغة، ص٣٣.

وقد استفاد شعراء الأندلس من هذا اللون البياني في شعرهم ويتمثل هذا في قول أبوبكر الطرطوش في ذم الدنيا:

إن لله عباداً فُطنا *** طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا

فكروا فيها فلما علموا *** أنها ليست لحي وطنا

جعلوها لجة واتخذوا *** صالح الأعمال فيها سفنا

عبارة جعلوها لُجة تشبيه بليغ ذكر فيه الطرفان المشبه والمشبه به وحذف الوجه والأداة. وكذلك نرى التشبيه البليغ في قول الشاعر ابن عبد ربه في ذم الدنيا:

ألا أنما الدنيا نضارة أيكة *** إذا اخضرَّ منها جانب جف جانبُ

نجد أن الشاعر شبه الدنيا بالشجرة الخضراء التي يخضر منها جانب ويجف جانبها الآخر.

المجاز ودوره في تشكيل الصورة الفنية:

المجاز في الأصل فعل، من جاز المكان يجوزه إذا تعداه نقل إلى الكلمة الجائزة أي: المتعدية مكانها الأصلي أو الكلمة المجوزة بها عل معنى أنهم جازوا بها مكانها الأصلي، كما ذكره الشيخ في أسرار البلاغة.

فالمجاز [مفرد ومركب وحقيقة كل منهما تخالف حقيقة الآخر، فلا يمكن جمعها في تعريف واحد] أما المفرد لهو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له، في اصطلاح به التخاطب على وجه يصح مع قرينة عدم إرادته أي: إرادة ما وضعت له، فاحترز بالمستعملة عما لم تستعمل فإن الكلمة قبل الاستعمال لا تسمى مجازاً، كما لا تسمى حقيقة وبقوله: في غير ما وضعت له عن الحقيقة مرتجلاً كان أو منقولاً أو غيرهما وقوله في اصطلاح به التخاطب وهو متعلق بقوله وضعت ليدخل فيه المجاز المستعمل. (١)

وقد استفاد شعراء الأندلس من هذا السفن البياني ويتجلى ذلك في قول ابن زمنين

تبكي المنازل منهم كل منسجم *** بالمكرمات وترثي البر والمننا

ففي قوله تبكي المنازل مجاز عقلي علاقته المكانية فالمنازل لا تبكي وإنما يبكي من سكن فيها.

(١) التفتازاني: المطول: شرح تلخيص مفتاح العلوم، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط٢ ٢٠٠٧م ص٥٧٢.

الاستعارة ودورها في تشكيل الصورة الفنية:

الاستعارة فن بياني جليل القدر عظيم التأثير عرّفه جمهور البيانين بأنه اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنيين الأصلي والمجازي للفظ ولعبد القاهر الجرجاني من كلام جميل في بيان شأن الاستعارة وقيمتها البلاغية يقول: (تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ) (١) وقد تقيد بالتحقيقية، لتحقيق معناها حساً أو عقلاً، أي: التي تتناول أمراً يمكن أن يُنص عليه ويشار إليه إشارة حسية أو عقلية. فيقال إن اللفظ نقل من مسماه الأصلي فجعل أسماً له على سبيل الإعادة للمبالغة في التشبيه أما الحسي فكوقلك: (رأيت أسداً) وأنت تريد رجلاً شجاعاً.

فالاستعارة: ما تضمن تشبيه معناها بما وضع له. والمراد بمعناه: ما عنى به، أي: ما استعمل فيه فلم يتناول ما استعمل فيما وضع له، وإن تضمن التشبيه به(٢) والاستعارة نوعان تصريحية ومكنية.

الاستعارة المكنية: وهي ما حذف منها المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهي أبلغ أثراً وأكثر تأثيراً في النفس وأجمل تصويراً، وذلك لأن العمل الإبداعي فيها أدق منه في الاستعارة التصريحية، ألا ترى أنها تبعث الحياة فيما ليس بحي؟ وتنشر

---

(١) إبراهيم غنيم: الصورة الفنية في الشعر العربي، مكتبة الملك فهد الوطنية، السعودية، الرياض ط ذو الحجة ١٤١٥هـ ص١٤٨ .

(٢) الخطيب القريني: الايضاح في علوم البلاغة، تحقيق عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، ط١٩٩٦، ص٣١٩-٣٢٠.

الحركة؟ وتنمي الخيال وهي تضيف إلى الأشياء صفات تجملها وتزينها. [١] ومن الصور الفنية في الشعر الزهدي الأندلسي التي كانت الاستعارة عنصراً مهماً من عناصرها قول:

إن لله عباداً فُطنا *** طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا

في قوله طلقوا الدنيا استعارة مكنية فالدنيا لا تطلق إنما تطلق النساء حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الطلاق.

وكذلك قول ابن حمديس الصقلي:

وأنا حيث سرت آكل رزقي *** غير أن الزمان يأكل عمري

نجد أن الشاعر شبه الزمان بالإنسان أو الحيوان وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهي كلمة (يأكل) على سبيل الاستعارة المكنية.

ويتمثل ذلك في قول الشاعر:

الموت في كل حين ينشر الكفنا *** ونحن في غفلة عما يراد بنا

في هذه الأبيات والتي يدعو فيها الشاعر إلى التفكير في الموت استخدم لذلك الاستعارة في لفظ الموت في كل حين ينشر الكفنا فالموت لا ينشر الكفن وإنما ينشره الإنسان.

---

(١) فضل عباس: البلاغة فنونها وأفنانها، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن، ط١١، ٢٠٠٧، ص١٨١.

وفي قول أبو الصلت:

حسبي فكم بعدت في اللهو أشواطي *** وطال في الغي إسرافي وإفراطي

أنفقت في اللهو عمري غير مزدجر *** وجدت فيه بوفري غير محتاط

نجد أن الشاعر من خلال هذه الأبيات والتي صور من خلالها نفسه وأظهر ضعفه وتضرعه إلى الله عز وجل وطلب المغفرة منه والسماح استخدم لإظهار ذلك العديد من الاستعارات بحيث استعار الأشواط ومشيه لها ببحر من اللهو والمتعة، كما استعار لنفسه الإنفاق للعمر مشبهاً له بإنسان ينفق في طلب اللهو والتلذذ بالحياة.

وقال الألبيري:

تغازلني المنية من قريب *** وتلحظي ملاحظة الرقيب

نجد أن الشاعر من خلال هذا البيت والذي صور فيه الموت كفتاة تغازله من قريب وتنظر إليه فالموت في الحقيقة لا يغازل وإنما تجده استعار اللفظ.

الكناية ودورها في تشكيل الصورة الفنية:

الكناية من الفنون الجميلة التي تمس حياة الناس وأذواقهم وهي تحتاج إلى حس لقوي مرهف، ذكي يختار المعنى ثم يخفيه مشيراً إليه بأحد المعاني المنبثقة منه، المترتبة عليه، اللازمة له لزوماً منطقياً أو عرفياً أو ابتكارياً من صنع الفنان نفسه. والكناية هي الفن الوحيد الذي يستعمل أثره فيكون مدحاً في مرحلة اجتماعية أو ثقافية أو حضارية، ثم يكون مدحاً في مرحلة اجتماعية أو ثقافية أو حضارية. أخرى للمجتمع أو العكس(١).

تعريف الكناية: يقول عبد القاهر الجرجاني (الكناية أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع في اللغة، ولكنه يجيء إلى معنى هو تاليه وتابع له في الوجود، فيوحي به إليه ويجعله دليلاً عليه) مثال ذلك قولهم: (هو كثير رماد القدر) يعنون كثير القِرى، وفي المرأة نؤم الضحى يريدون أنها محذوفة ولها من يكفيها أمرها فقد أرادوا معنى، ثم لم يذكروه بلفظه الخاص به، ولكنهم توصلوا إليه بذكر معنى آخر من شأنه أن يكون في الوجود إذا كان المعنى الأول وقد أجمع الجميع على أن الكناية أبلغ من الإفصاح. (٢)

لنر كيف أفاد شعراء الأندلس من هذا الفن من صور الكتابة.

---

(١) د. منير سلطان: الصورة الفنية في شعر المتنبي، منشأة المعارف بالإسكندرية، جلال حربي وشركاه، ٢٠٠٢، ص١٠١.

(٢) السكاكي: مفتاح العلوم: حققه د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠، ص٥١٢.

قال أبو الصلت:

فكيف أخلصُ من بحرِ الذنوب وقد *** غَرِقتُ فيه على بعد من الشاطئ

كنى عن كثرة أخطائه وتفريطه (ببحر الذنوب) مجسداً الذنوب في صورة بحر له شواطئ يغرق الإنسان وينغمس فيها.

وكذلك قول ابن حمديس:

يا ذُنوبي ثقلت والله ظهري *** بانَ عذري فكيف يُقبل عُذري

جاء الشاعر بلفظ ثقلت في البيت كناية عن كثرة ذنوبه.

ويقول الالبيري:

أرى الأعصار تعصر ماء عودي *** وقدماً كنت ريان القضيب

نجد في عبارة أرى الأعصار كناية عن الكبر وتقدم السن.

المبحث الثاني

مصادر شعر الزهد

(الاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف والأمثال)

الاقتباس لغة: القبس الشعلة من النار. وفي التهذيب:القبس شعلة من نار نقتبسها من معظم، واقتباسها الأخذ منها(١).

والمعني أن يأخذ الشاعر جزءاً من كلام الله سبحانه وتعالى وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم ويضمنه في شعره والاقتباس علي نوعين إما كلي أو جزئي، والكلي هو أن تذكر الآية بجملتها أو الحديث بجملته وأما الاقتباس الجزئي فهو أن تدرج بعض الحديث في ضمن الكلام فتكون جزءاً منه.

أولاً: الاقتباس من القرآن الكريم:

نجد أن شعراء الأندلس قد تناولوا معاني القرآن الكريم في شعرهم الزهدي ومن أبرزهم الشاعر أبو إسحاق الإلبيري حيث قال في الحث علي العلم الديني

وَإِن راعَيتَـــــهُ قَـــــولاً وَفِعـــــلاً *** وَتـــــاجَرتَ الإِلَـــــهَ بِـــــهِ رَبِحتـــــا

(إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ) (٢)

---

(١) ابن منظور :لسان العرب: جـ١٢ دار صادر بيروت ط٢٠٠١م

(٢) سورة فاطرة: آية ٢٩

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ)(١)

والمراد بالتجارة في الآيتين المعني المجازي والتجارة ترد للعمل يترتب علي خير أو شر (٢).

ولا تحفل بمالك واله عنه *** فليس المال إلا ماعلمتا

ينبه الشاعر السامع والقاري علي ما في القرآن الكريم من صفة المال في بعض الآيات التي ورد ذكر المال قال تعالى: (وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) (٣) (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) (٤) (٥).

وَلا تَحزَن عَلى ما فاتَ مِنها *** إذا ما أَنتَ في أُخراكَ فُزتا

(لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ) (٦)

وَلا تَضحَك مَعَ السُفَهاءِ لَهواً *** فَإِنَّكَ سَوفَ تَبكي إِن ضَحِكتا

---

(١) سورة الصف: آية ١٠-١١
(٢) الإلبيري ، الديوان، صـ٢٩
(٣) سورة الأنفال: أية ٢٨
(٤) سورة المنافقون: آية٩.
(٥) المصدر نفسه صـ٢٧
(٦) سورة الحديد: آية ٢٣.

(فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيراً جَزَاء بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ) (١) (٢)

وَكُنتَ مَعَ الصِبا أَهدى سَبيلاً *** فَما لَكَ بَعدَ شَيبِكَ قَد نُكِستا

وكنت مع الصبا أهدي سبيلاً ** فمالك بعد شيبك قد نكستا

في التنزيل العزيز في ذكر قوم إبراهيم (ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاء يَنطِقُونَ) (٣) (٤)

ثَقُلتَ مِنَ الذُنوبِ وَلَستَ تَخشى *** لِجَهلِكَ أَن تَخِفَّ إِذا وُزِنتا

في التنزيل العزيز (فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ) (٥) (٦)

وَلَو قَد جِئتَ يَومَ الفَصلِ فَرداً *** وَأَبصَرتَ المَنازِلَ فيهِ شَتّى

لَأَعظَمتَ النَدامَةَ فيهِ لَهَفاً *** عَلى ما في حَياتِكَ قَد أَضَعتا

---

(١) سورة التوبة: آية٨٢

(٢) المصدر نفسه صـ٣٠

(٣) سورة الأنبياء: آية٦٥

(٤) الديوان صـ ٣١

(٥) سورة القارعة: آية٦-٩

(٦) الإلبيري، الديوان صـ٣٢

(إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدّاً وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدا) (١)

(وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُون أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى علَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ) (٢) (٣) .

ثانياً: الاقتباس من الحديث الشريف

قال الإلبيري في الحث علي العلم :

فَرَأسُ العِلمِ تَقوى اللَهِ حَقّاً *** وَلَيسَ بِأَن يُقال لَقَد رَأَستا(٤)

في كشف الخفا (لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: شبابه فيما أبلاه، وعن عمره فيما أفناه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به) (٥).

وعن أبي كبشة السلولي قال : سمعت أبا الدرداء يقول : إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة عالم لا ينتفع بعلمه.

---

(١) سورة مريم: آية٩٣-٩٥

(٢) سورة الزمر: آية ٥٥-٥٦

(٣) المصدر نفسه صـ٤٦

(٤) الإلبيري، الديوان صـ٢٦.

(٥) أخرجه الترمذي في سننه : كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ، باب في (القيامة) – ج٤ ، ص٦١٢.حديث رقم (٢٤١٦).

إذا مـــا لَــم يُفِــدكَ العِلــمُ خَيــراً *** فَخَيــرٌ مِنــهُ أَن لَــو قَــد جَهِلتــا[1]

وقال : إذا مآ لم يفدك العلم خيراً * مخير منه أن لو قد جهلتا

في الدعاء المشهور : (اني أسالك علماً نافعاً) [2]

(إني أعوذ بك من علم لا ينفع) وفيه (اللهم أني أسالك علماً نافعاً)

قال الإلبيري :

قَـد بَلَغـتَ السِـتينَ وَيحَـكَ فَـاِعلَم *** أَنَّ مـــا بَعـــدَها عَلَيـــكَ تَلَـــوَّم[3]

في حديث أبي هريرة أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال : (أعمار أمتي ما بين الستين والسبعين ، وأقلهم من يجوز ذلك) [4] .

وفي حديث طويل عن أنس بن مالك (أن الرجل المسلم إذا بلغ الستين رزقه الله إنابه يحبه عليها.....) [5]

---

(١) المصدر نفسه، ص٢٦.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الذكر والدعاء – باب من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، ج٣،ص ٢٠٨٨ ، حديث رقم (٢٧٢٠) ، المرجع صحيح مسلم إلي الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ،ط٢ ، توسن دار سحنون ١٩٩٢م.

(٣) الإلبيري، الديوان صـ٥٦.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه : كتاب الدعوات : باب ١٠١ في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم ، ج٥ ، ص ٥٥٣ ، حديث رقم ٣٥٥٠، وقال أبو عيسى هذا حديث حسن القريب المرجع سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى ، تحقيق إبراهيم عطوه عوض ط٢ ، تونس دار سحنون للطباعة والنشر .

(٥) أخرجة الحاكم في المستدرك علي الصحيحين مع التلخيص ، كتاب التفسير ، ج٢ ، ص٤٢٧.المرجع المستدرك مع الصيحين مع التلخيص ابو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم انيسابورس ط الرياض مكتبة ومطابع النشر الحديث .

وقال الإلبيري :

وَلا تَقُــل الصِــبا فيــهِ مَجــالٌ *** وَفَكِّــر كَــم صَــغيرٍ قَــد دَفَنتــا[١]

قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : (أغتنم خمساً قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك)[٢]

وَلَــو وافَيــتَ رَبَّــكَ دونَ ذَنــبٍ *** وَناقَشَــكَ الحِســابَ إِذاً هَلَكتــا[٣]

عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : (من حوسب يوم القيامة عُذب) [٤].

نقلت: أليس قد قال الله عز وجل (فسوف يحاسب حساباً يسيراً) فقال : ليس ذاك الحساب ، إنما ذلك العرض: من نوقش الحساب يوم القيامة عذب.

قال الإلبيري : فخذ الكفاف ولا تكن ذا فضله* فالفضل تسأل عنه

---

(١) الإلبيري، الديوان صـ٣٠

(٢) أخرجه الحاكم : في المستدرك علي الصحيحين .

(٣) المصدر نفسه، ص٣٢.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه : كتاب تفسير القرآن باب ٨٤، من سورة إذا السماء أنشقت ، ج ٥ ، ص ٤٣٥، حديث رقم (٣٣٣٨) مرجع سابق

عن أبي سعيد الخدري قال : بينما نحن في سفر مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل علي راحلة له فجعل يصرف بصره يميناً وشمالاً فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم : (من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له . ومن كان له فضل من زاد فليعد به علي من لا زاد له) [١]

فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لاحق أحد منا في الفضل .

وقال في ذم الدنيا

سُـجِنتَ بِهـا وَأَنـتَ لَهـا مُحِـبٌّ *** فَكَيـفَ تُحِـبُّ مـا فيـهِ سُـجِنتا[٢]

في الحديث الشريف : (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر)[٣] .

وَلَـم تُخلَـق لِتَعمُرهـا وَلَكِـن *** لِتَعبُرَهـا فَجِـدَّ لِمـا خُلِقتـا[٤]

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب اللقطة باب استحباب المؤاساة بفضول المال ، ج٢ ، ص ١٣٥٤ ، حديث رقم (١٧٢٤) المرجع صحيح مسلم .

(٢) الإلبيري، الديوان ص٢٩.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه : كتاب الزهد ، باب ما جاء أن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، ج٤، ص ٥٦٢ ، حديث رقم (٢٣٢٤). المرجع سنن الترمذي مرجع سابق .

(٤) المصدر نفسه، ٢٩

في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : نام رسول الله صلى الله عليه وسلم علي حصير فقام وقد أثر في جنبيه: قلنا يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء فقال : (مالي وللدنيا؟ ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ، ثم راح وتركتها) [١].

وفي مسند الأمام أحمد رضي الله عنه أن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : أخذ رسول الله صلي الله عليه وسلم ببعض جسدي فقال: (يا عبد الله ، كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، وأعدد نفسك في الموتى)[٢].

ثالثاً: الأمثال

تعريف المثل:

مَثله ومَثَله: كما يقال شبهه وشبهه بمعني، قال ابن بري: الفرق بين المماثلة والمساواة أن المساواة تكون بين المختلفين في الجنس والمتفقين،لأن التساوي هو التكافؤ في المقدار لا يزيد ولا ينقص، وأما المماثلة فلا تكون إلا في المتفقين، تقول نحوه كنحوه وفقه كفقهه ولونه كلونه وطعمه كطعمه، فإذا قيل: هو مثله علي الإطلاق فمعناه أن يسد مسده، وإذا قبل هو مثله في كذا فهو مساو له في جهة دون

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه : كتاب الزهد باب ٤٤ ، ج ٤ ، ص ٥٨٨ حديث رقم (٢٣٧٧) فقال هذا حديث حسن وصحيح

(٢) أخرجة الترمذي في سننه كتاب الزهد : باب ما جاء في قصر الأمل ج٤ ، ص٥٦٧ ، حديث رقم (٢٣٣٣).

جهة، والعرب تقول: هو مثيل هذا وهم أمثالهم يرون أن المشبه به حقير كما أن هذا حقير. والمثل الشبه[1].

قال أبو عمر احمد بن محمد بن عبد ربه:

ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في الأمثال، التي هي وشئ الكلام وجوهر اللفظ وحلي المعاني، والتي تخيرتها العرب، وقدَّمتها العجم، ونطق بها كل زمان وعلي كل لسان.

فهي أبقي من الشعر، وأشرف من الخطابة، لم يسر شئ مسيرها، ولا عم عمومها، حتى قيل أسير من مثل.

مـــا أَنــــتَ إِلّا المَثَــــلُ الســــائِرُ *** يَعرِفُـــــهُ الجاهِـــــلُ وَالخـــــابِرُ[2]

وقد ضرب الله عز وجل الأمثال في كتابه، وضربها رسول الله صلي الله عليه وسلم في كلامه.

قال الله عز وجل: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا)[3] وقال: (وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ)[4]. ومثل هذا كثير في أي القرآن[5].

---

(١) ابن منظور : لسان العرب : مادة مثل م: ط دار صادر سنة ١٩٩٠، ص٦١٠.

(٢) رجل خابر أبي عالم بالخبر.

(٣) سورة الحج الآية (٧٣).

(٤) سورة النحل الآية (٧٦).

(٥) ابن عبد ربه : العقد الفريد : دار الكتب العلمية بيروت ،ج٣،ص٣-٤

ومن أمثال رسول الله صلي الله عليه وسلم، قال النبي (ص): ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيما، وعلي جنبي الصراط أبواب مفتحه، وعلي الأبواب ستور مرخية، وعلي رأس الصراط داع يقوله: أدخلو الصراط ولا تعوجوا. فالصراط الإسلام،والسوران: حدود الله، والأبواب المفتحه: محارم الله، والداعي القرآن. وله صلي الله عليه وسلم أمثال كثيرة غير هذا.

والأمثال تستعمل في الشعر. قال الأصمعي: لم أجد في شعر شاعر بيتاً أوله مثل وآخره مثل إلا ثلاثة أبيات:

منها بيت الحطيئة :

مَن يَفعَلِ الخَيرَ لا يَعدَم جَوازِيَهُ *** لا يَذهَبُ العُرفُ بَينَ اللَهِ وَالناسِ

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه * لا يذهب العرف بين الله والناس

وبيتان لامرئي القيس:

وَأَفلَتَهُنَّ عِلباءٌ جَريضاً *** وَلَو أَدرَكنَهُ صَفِرَ الوِطابُ

وَقاهُم جِدُّهُم بِبَني أَبيهِم *** وَبِالأَشقَينَ ما كانَ العِقابُ

ومثل هذا كثير في القديم الحديث، ولا أدري كيف أغفل القديم منه الأصمعي. فمنه قول طرفة:

سَتُبدي لَكَ الأَيّامُ ما كُنتَ جاهِلاً *** وَيَأتيكَ بِالأَخبارِ مَن لَم تُزَوِّدِ

وفي هذا مثلان من أشرف الأمثال: ويقال ان رسول الله صلي الله عليه وسلم سمع البيت فقال:

(إن معناه من كلام النبوة) [١]

ومن الأمثال التي ذكرها شعراء الأندلس في شعرهم قول أبو إسحاق الإلبيري:

وَلا تَحفِــل بِمالِــكَ وَالِــهُ عَنــهُ *** فَلَــيسَ المــالُ إلّا مــا عَلِمتــا[٢]

وَلَـيسَ لِجاهِـلٍ فـي النـاسِ مَعنـىً *** وَلَــو مُلــكُ العِــراقِ لَــهُ تَــأَتّى

ضرب المثل بـ(يملك العراقيين) لما هو واسع كثير من السلطة والملك ومنه قول أبي الطيب:

وَغَيــرُ كَثيــرٍ أَن يَــزورَكَ راجِــلٌ *** فَيَرجِــعَ مَلكــاً لِلعِــراقَينِ والِيــا[٣]

وقال في موضع آخر:

رَجَعــتَ القَهقَــرى وَخَبَطــتَ عَشــوا *** لَعَمــرُكَ لَــو وَصَــلتَ لَمــا رَجَعتــا

هي الناقة التي لا تبصر بالليل فهي تطأ كل شئ رجع القهقرى أي إلي الوراء و(خبط عشواء) مثل وأصله من خبط الناقة التي ضعف بصرها فهي لا تميز أين تمضي وما ذا بقيت في طريقها[٤].

---

(١) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ص ٧٧-٧٨.

(٢) الإلبيري، الديوان صـ٢٧

(٣) الإلبيري، الديوان، ص٢٧.

(٤) الميداني، مجمع الأمثال، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦١م، ص٣٦١.

قال الوزير بن المغربي[1]:

إنـــــي أبثـــك مـــن حــــديثي *** والحـــــــديث لــــــه شــــجون

فارقــــت موضــــع مــــرقدي *** لـــــيلاً ففـــــارقني الســــكون

قــــل لـــــي فـــــأول ليلــــة *** للقبـــــر كيـــــف تـــــري أكـــــون[2]

الحديث ذو شجون. أي ذو طرق الواحد شجن، لسكون الجيم والشواجن، أدوية كثير الشجو، الواحدة ساجنة واصل هذه الكلمة الاتصال والالتفاف. ومنه الشجة والشجنة الشجر الملتفة الأغصان.بضرب هذه المثل في الحديث يتذكر به غيره[3].

(١) هو محمد بن الحسين بن عبد الرحيم المعروف بالوزير المغربي، (أبو سعيد، عميد الدولة)، فاضل، أديب، مؤرخ، من الوزراء، من آثاره: أخبار الشعراء المحدثين، طبقات الأمم في التاريخ والنتف والظرف، عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ٢٥١/٣.

(٢) المقري: نفح الطيب، ص١١٣.

(٣) الميداني، مجمع الأمثال، ص٢٧٥.

الخـــاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على خير نبي أحال البشر من الشرك إلي الإيمان وعلي آله وصحبه وكل من تبعهم بإحسان.

فقد ثم هذا البحث بفضل من الله تعالى، وأرجو أن يكون قد حققت أهدافه التي عرضت في مقدمته.

تحدثت في التمهيد عن فنون الشعر وإتجاهاته في الأندلس. تناول الفصل الأول الزهد لغة واصطلاحاً، وموقع الزهد في الرؤية الدنينة للحياة كما تناول الزهد في العصر الأموي والعصر العباسي، الفصل الثاني عن البيئة الأندليسية وأثرها في ظاهرة الزهد وفيه طبيعة الأندلس وجغرافيته البشرية وكثرة علماء الشعرية وقوة سلطانهم علي الخلفاء والنزاع والتناحر القبلي والطائفي ، وفناء الدول والمدن وأثره في الزهد.

الفصل الثالث من عناصر شعر الزهد عند الأندلسيين والحديث فيه عن عدم الركون إلي الدنيا والتقليل منها وفكرة الموت والدعوة للاستعداد له والخوف من الله واجتناب سخطه وأخذ العبرة والحث علي العلم الديني. أما الفصل الرابع الصورة الفنية في شعر الزهد. والاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف والأمثال .

أهم النتائج : ـ

أ/ ظاهرة الزهد ظاهرة إسلامية أستمدت أصولها من القرآن الكريم والسنة النبوية.

ب/ أثبتت الدراسة أن شعر الزهد في الأندلس أضغاف مثيله في المشرق.

ج/ حالة الفوضى السياسية والفوضى الاجتماعية أدت إلي ظهور شعر الزهد عند الأندلسيين.

د/ شعر الزهد من حيث الشكل والمضمون جيد.

ه/ كان نردود هذه الدراسة بالنسبة لي إيجابياً حيث هيأ لي قرصه الاطلاع علي مجموعة كبيرة من المصادر والمراجع كما أتاح لي التجوال بين صفحات التراث الأدبي وخاصة كتب التراث الأندلس القديمة ولمكتبات المختلفة مثل مكتبة جامعة القرآن ومكتبة أم درمان الإسلامية ومكتبة التجاني سعيد بالثورة.

التوصيات : ـ

أوصي الجهات المهتمة بأمر اللغة العربية والأدب من كليات ومجامع لغوية أن تولي لغة القرآن كل اهتمامها وتعمل علي تعيين قدر من العلماء والباحثيين المختصيين في اللغة العربية وآدابها وتجهيزهم لخدمتها ، وذلك بنشر الكتب التي تهتم بالادب الأندلسي وشرحها والتعليق عليها .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الفهارس العامة

وتحتوي على:

1- فهرس الآيات القرآنية.
2- فهرس الأحاديث النبوية.
3- فهرس الأعلام.
4- فهرس القوافي.
5- فهرس المصادر والمراجع.
6- فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

الآيـة	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
(قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآَخِرَةُ عِندَ اللّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)	البقرة	٩٤	٦٨
(وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ)	النساء	١٨	٦٨
(قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُل لِلّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ)	الأنعام	١٢	٣٧
(أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىَ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ)	التوبة	١٠٩	٣٥

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
(إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ)	يونس	٢٤	٩
(وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً)	هود	٧	٦٢
(وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ)	يوسف	٢٠	٧
(وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَى)	يوسف	١٠٩	٥١
(مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ)	الرعد	٣٥	١٠
(وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لاَ يَقْدِرُ عَلَىَ شَيْءٍ)	النحل	٧٦	١١٥

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
(وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً)	الاسراء	٧٢	١٣
(قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً)	طه	١٢٥	١٣
(قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى)	طه	١٢٦	١٣
(يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ)	الحج	٧٣	١١٥
أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ	الشعراء	١٢٨	٣٤
(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء)	فاطر	٢٨	٨٤
(اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ)	الحديد	٢٠	١٠
(إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً)	الشرح	٦	٩٧
(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)	العلق	١	٨٤

فهرس الأحاديث

رقم الصفحة	طرف الحديث
١١١	(أعمار أمتي ما بين الستين والسبعين)
١١٢	(اغتنم خمساً قبل خمس)
١٠	(ألا إن الدنيا معلونة معلون ما فيها)
١٠	(اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة)
١١١	(إن الرجل المسلم إذا بلغ الستين رزقه الله إنابة)
١١١	(أني أسألك علماً نافعاً)
١١٣	(الدينا سجن المؤمن وجنة الكافر)
١١٠	(لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة)
١١٤	(مالي وللدنيا ما أنا في الدنيا إلا كراكب)
١١٢	(من حوسب يوم القيامة عذب)
١١٣	(من كان معه فضل ظهر فليعد بة علي من لا ظهر له...)
١٠	(وكان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم أدما وحشوه ليف)
١١٤	(يا عبد الله كن في الدنيا كأنك غريب)
١٠-١١	(يؤتي بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة)

فهرس القوافي

القافية	القائل	الصفحة
قافية الهمزة:		
بقاء	الأمير عبد الله	٦٥
فناء		
البلاء		
البكاء		
الأسماء		
قافية الباء:		
السرايا	أبو العتاهية	٢٢
الضباب		
ذهابا		
ذهاب		
تراب		
شبابي		
باستلابي		
انقلاب		
سراب	السميسر	٦٥
يباب		
اضطراب		
عذاب		
جداب		
كتاب		
حساب		
جانب	ابن عبد ربه	١٠٠
صائب		
ساكب		
ذاهب		

الرقيب	الإلبيري	٧٧
مشيب		
منيب		
القضيب		
الحبيب		
بالشحوب		
للغروب		
الذاهب	الإلبيري	٩١
شوازب		
كتائبا		
قواضب		
قافية التاء:		
وقتا	الإلبيري	٦٣
حلمتا		
سجنتا		
طعمتا		
خلعتا		
شهدتا		
خلقتا		
أمنتا	الإلبيري	٧٨
أطعتا		
وزنتا		
رحمتا		
رجعتا		
هلكتا		
حملت		

شتى		
أضعتا		
عقلتا	الإلبيري	٨٥
أمرتا		
ضللتا		
اغتربتا		
ذهبتا		
ضربتا		
كنتا		
سددتا		
اجتهدتا		
فتنتا		
كلفتا		
أخذتا		
سبقتا		
علمتا		
رأستا		
جهلتا	الإلبيري	٨٦
فهمتا		
كبرتا		
فقدتا		
شغلتا		
سفلتا		
طلبتا		

كتبتا		٨٦
هرمتا		
ما عديتا		
قرأتا		
جلستا		
ركبتا		
مواتي	لسان الدين بن الخطيب	٩٥
الآتي		
الغفلات		
الأفات		
ولدات		
حياة		
الأموات		
قافية الثاء:		
عبثا	عبد الله بن عمرة	١٦
وما ورثا		
غوضا		
ورث		
بحثا		
قافية الحاء:		
الصوائح	أبو نواس	٢٤
ينازح		
تمازح		
قادح		

قافية الدال:

بددا		
لبدا	الأعمى التطليلي	٩٣
أسدا		
غدا		
خالد		
عائد	أبو العتاهية	٢٢
جاحد		
المراد		
المهاد		
النفاد		
البعاد		
مزاد		
الجواد	أبي الحسن علي	٧٤
فبادوا		
يزاد		
نهاد		
نعاد		

قافية الراء:

الصور		
الظفر		
السمر	ابن عبدون	٥٣
السمر		
الغير		

الزهر		
من خبر		
ذا أثر		
من أثر		
المرر		
شفير		
قصير		
القبور	ابن عبد ربه	٦٩
المعير		
الغرور		
عذري		
هجري		
فجري		
عمري	ابن حمديس	٨٢
خسري		
جهري		
كسري		
فكري		
أصير		
يجور		
كثير	أبو الصلت	٨٣
جدير		
سرور		

قافية العين:		
انقطاع اتساع ساع ارتفاع	محمود الوراق	٢١
قافية الفاء:		
الكفاف عفاف إسراف	السميسر	٦٤
قافية القاف:		
راق أخلاق الباقي	ابن حذاق	٢٠
الخالق الصادق ناطق لاحق	محمد بن إبراهيم العامري	٨٩
أضيقا الفرزدقا موثقا تمزقا محرقا	الفرزدق	١٦

قافية الكاف:		
دواك	الإلبيري	٩٠
عصاك		
إلاك		
وغناك		
ثراك		
رداك		
دجاك		
قافية اللام:		
طويلا	أبو العتاهية	٢٣
سبيلا		
سئولا		
تمهل	منذر بن سعيد	٣٨
تذل		
أنزل	أبو عمران المارتلي	٧٠
تقبل		
تمطل		
لا يغفل		
فارحلوا		
تعجل		
أمهل		
أنقل		

الأمل نزل غفل الشغل لم يزل	الأمير عبد الله	٧٢
قافية الميم:		
مقام كلام تمام حمامي أمامي سلام	الفرزدق	١٦
بهم النعم هجم	عبد الله بن المبارك	٢٠
ترحم مخيم فليسلم أسلم أعظم المترحم	أبو إسحاق بن خفاجة	٧٥
عدم الندم رحم	بكار بن داؤد المرواني	٧٩

علم		
الظلم		
الحمم		
تفهم	أبو بكر المغيلي	٩٢
تسلم		
أسهم		
تسأم		
تعلم		
عنهم		
منهم		
قافية النون:		
البنيان	عبد الرحمن الناصر	٣٧
الأزمان		
الشأن		
إنسان	أبو البقاء الرندي	٥٥-٥٦
أزمان		
شان		
خرصان		
غمدان		
تيجان		
ساسان		
قحطان		
ما كانوا		
وسنان		

الفتنا	أبو بكر الطرطوشي	٦٧
وطنا		
سفنا		
بنا	ابن أبي زمنين	٧٣
الخسنا		
سكنا		
رهنا		
المسننا		
حسنا		
شجون	الوزير المغربي	١١٨
سكون		
أكون		
مكان	الإلبيري	٧١-٧٢
سكان		
الركبان		
النقصان		

فهرس الأعلام

العـــلم	الصفحة
ابن الآبار	٥٦
أبي إسحاق إبراهيم بن مسعود	٦٠
أبي الطيب	١١٧
أبي كبشة السلولي	١١٠
أحمد بن محمد بن عبد ربه	٦٦
اشبان بن طيطش	٢٩
الأشبوني : علي بن اسماعيل القرشي	٧١
الأصعمي	١٩
اطريقس	٢٩
الأعمى التطيلي	٩١
الألوسي	٥
امرئ القيس	١١٧
الأمير غبد الله بن عنحند	٤٠،٦٢،٦٩
الأمين	١٧
أمية بن عبد العزيز أبو الصلت	٧٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٨١

أيسابل	٤٨
أبن بسام	٤
أبو بكر بن طفيل	٧٤
أبو بكر بن قزمان	٤،٥
أبو بكر المغيلي	٩٠
ثعلب	٦
ابن جبير: محمد بن أحمد	٦٣
الجاحظ	٩٣
ابن جحدر	٥
جعفر المصحفي	٤١
الحجاج	٣٥، ١٤
الحجازي	٢٦
حذيفة بن اليمان	١٠
ابن حزم	٨٢
الحسن البصري	١٤ ، ١١
أبو الحسن جعفر بن عثمان المصحفي	٣
أبو الحسن سهيل بن مالك	٥

أبو الحسن بن الجد	٤٣
الحطئية	١١٦
أبو حفص الهوزني	٤٣
الحكم	٣٤
ابن حمديس الصقلي	٣ ، ٧٤، ٨٠
ابن حيان	٢٦
خالد القسري	١٤
ابن الخطيب	٥
ابن خفاجة : أبو إسحاق بن إبراهيم خفاجة	٤ ،٧٣
ابن خلدون	٨٢
خلف بن فرج السميسر	٤ ،٦١
الخليل بن أحمد	١٨
ابن دراج القسطلي	٣
أبو الرداء	١٠
الرازي : أحمد بن محمد بن إدريس	٢٦
الرئيس أبو عثمان بن إدريس	٣٦
الرندي : أبي البقاء صالح بن شريف	٥٣

ابن أبي زمنيين	٧٠
سايق البربري	٣
ابن زيدون	٣
سبتث بن يافث	٢٤
السري	٧
أبي سعيد الخدري	١١٤
أبن سعيد علي بن عبد الملك	٢٤
السالمي : أبو عامر محمد بن أحمد بن عامر	٢٥
سليمان الداراني	٦
السميسر الألبيري	٦١
شانجة الرابع	٤٧
الشعبي	١٣
طرفة	١١٨
الطرطوشي: أبو بكر محمد بن الوليد	٦٤
طوبال بن ياقث	٢٤
عائشة	١١٢
أبو عامر السالمي: محمد بن أحمد بن عامر	٢٥

أبو العباس التطيلي الأشبيلي	٣
عبد الرحمن الأوسط بن الحكم	٣٨
عبد الرحمن الملقب بشنجول	٤٣
عبد الرحمن بن طريف اليحصبي	٣١
عبد الرحمن بن محمد	٣٨
عبد الرحمن بن معاوية	٣١
عبد الرحمن الناصر لدين الله	٣٢ ، ٣٥ ، ٤٠ ، ٤١
عبد الرحمن بن هشام	
عبد الله بن عبد الأعلي بن عمره الشيباني	١٦
ابوعبد الله الغساني اليجالي	٣
عبد الله بن المبارك	١٨
عبد الله بن محمد	٤٠
عبد الله بن مسعود	١١٣
عبد المؤمن بن علي	
عبد المجيد بن عبدون	٣، ٥٠
ابن عبدربه الأندلسي	٦٦
أبو عبيدة محمد البكري	٢٥

أبو عبيدة محمد بن مسعود	٣
أبو العتاهية	١٨ ، ٢٠
على بن يوسف بن تاشغين	٤٤
أبن عمار	٣
عمر بن حفصون	٤٠
أبو عمر بن محمد بن فرج الجياني	٣
أبو عمران موسى بن عمران المارتلي	٦٧
عيسى بن مريم	١٣
الفرزدق	١٤
فردينا ند	٤٨
الفونسو السادس	٤٣
القاهر	٤٠
المامون	١٧
ابن المبارك	١٨
محلف الأسود	٥
محمد بن أبي عامر	٤١
محمد بن عبد الرحمن	٤٠

محمد بن إبراهيم العامري النحوي	٨٧
محمد بن يوسف بن نصر بن الأحمر	٤٧
محمد بن يوسف بن هود	٤٧
محمد الوراق	١٨ ، ٢٠
المرتضي	٤٠
المرواني : بكار بن داؤد	٧٧
المستكفي	٤٣
المسعودي	٢٥
المتعضد	٤٠
المقتدر	٤٠
منذر بن سعيد البلوطي	٣٢
المنصور	١٨
المنصور بن عامر	٤٣
المهدي	١٨
الناصر	٣٢
النوار	١٤
أبو نواس	١٨ ، ٢٢

هارون الرشيد	١٨
ابن هاني الأندلسي	٣
ابن هردوس	٥
هشام الؤيد	٤١
الوزير لسان الدين بن الخطيب	٢٤ ، ٩٢
الوزير المغربي	١١٣
ولادة بنت المستكفي	
أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي	
أبو وهب بن عبد الرحمن القرطبي	
يحيى بن على بن حمود	
يعقوب المنصور المريني	٤٧
يوسف بن عمر	١٤

فهرس المصادر والمراجع

١. أبو العتاهية أشعاره وأخباره : دار صادر للطباعة والنشر . بيروت ١٩٦٤.

٢. الأدب الأندلسي في عهد المرابطين د/ مصطفي عوض الكريم مطبعة جامعة الخرطوم ١٩٦٨م.

٣. الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه : د/ مصطفي الشكعة . بيروت ، دار العلم للملايين.

٤. الأدب الأندلسي من الفتح إلي سقوط الخلافة ، دار المعارف . مصر ١٩٨٦م.

٥. أزهار الراياض : المقري طبعة ١٩٣٩م.

٦. الأدب العربي في الاندلس : د/ عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية . بيروت.

٧. الأعلام : قاموس تراجم . خير الدين الزركلي ، ط ١٠. بيروت ، دار العلم للملايين ١٩٩٢م.

٨. البديع لابن المعتز .

٩. البلاغة فنونها وأفنانها د/ فضل حسن عباس .

١٠. البيان والتبين : الجاحظ : تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي القاهرة ١٩٧٥م.

١١. البيان المغرب لابن عزاري.

١٢. التطور والتجديد في الشعر الأموي د/ شوقي ضيف ، دار المعارف ط ٨، ١٩٥٩م.

١٣. تأريخ الأدب العربي في المغرب والأندلس : د/ عمر فروخ . بيروت ، دار العلم للملايين ،ط٣ ١٩٩٧م.

١٤. تأريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات الأندلس ، د/ شوقي ضيف ، ط٣ دار المعارف مصر.

١٥. التصوير الفني في القرآن : سيد قطب ، القاهرة ، دار الشروق .

١٦. تأريخ علماء الأندلس : ابن الفرضي ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦م.
١٧. التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول ، د/ مجاهد مصطفي بهجت ، وزارة الأوقاف والشئون الدينية . العراق ١٩٨٢م.
١٨. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع .السيد أحمد الهاشمي طبعة مكتبة الإيمان ١٩٩٩م.
١٩. الحيوان : أبو عمرو عثمان بن بحر بن محبوب الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط٣، بيروت ، دار الكتاب العربي ١٩٤٣م.
٢٠. خريدة العصر وجريدة القصر : الأصفهاني : تحقيق نهضة مصر للطباعة والنشر .
٢١. دائرة المعارف الإسلامية .
٢٢. دراسات في التصوف الإسلامي د/ محمد عبد المنعم خفاجة ، دار الطباعة المحمدية .
٢٣. ديوان أبو إسحاق الالبيري : تحقيق محمد رضوان الداية ، ط١، دار الفكر للطباعة ١٩٩١م.
٢٤. ديوان الحكيم أبو الصلت : تحقيق محمد المرزوقي ، دار الكتب الشرقية تونس ١٩٧٤م.
٢٥. رثاء النفس في الشعر الأندلسي ، د/مقداد رحيم ط١، جهينة للنشر والتوزيع الأدرن ٢٠٠٧م.
٢٦. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لأبن بسام ، تحقيق د/ احسان عباس ، ط ، دار الثقافة . بيروت لبنان .
٢٧. سير أعلام النبلاء شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي مؤسسة الرسالة ط ١٩٩٠م.
٢٨. سنن الترمذي لابن عيسى محمد بن سور الترمذي.
٢٩. شعر بني أمية في الأندلس ، د/ السيد أحمد عمارة ، مكتبة المثني بمصر.

٣٠. الشعر الأندلسي في عصر الطوائف إتجاهاته وخصائصه نميري تاج السر : رسالة دكتوراة .
٣١. صحيح البخاري أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري .
٣٢. صحيح مسلم للإمام أبو الحسن مسلم بن حجاج النيسابوري القشيري ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .
٣٣. الصروة في شعر بشار بن برد ، د/ عبد الفتاح صالح نافع . عمان الأدرن ، دار الفكر للنشر والتوزيع .
٣٤. العصر العباسي الأول : د/ شوقي ضيف ، القاهرة دار المعارف ١٩٦٦.
٣٥. العقد الفريد – لأبن عبد ربه الأندلس دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٣م.
٣٦. الفوائد : أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر أيوب بن قيم الجوزية – طبعة دار النفائس .
٣٧. قراءت في الشعر الأندلسي : د/ صلاح جرر ، طبعة دار المسيرة ٢٠٠٧م.
٣٨. كشاف اصطلاحات العلوم والفنون : محمد بن علي التهانوي .
٣٩. لسان العرب : جنال الدين محمد بن مكرم بن منظور ط . بيروت ، دار صادر للطباعة والنشر ٢٠٠م.
٤٠. مروج الذهب ومعادن الجوهر : للسعودي .
٤١. مجمع الأمثال : الميداني منشورات دار مكتبة الحياة . بيروت ١٩٦١م.
٤٢. المستدرك على الصحيحين أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري .
٤٣. المسند للإمام أحمد بن محمد بن حنبل.
٤٤. معجم المؤلفين : تراجم مصنفي الكتب العربية ، عمر رضا كحالة ، ط ١ بيروت مؤسسة الرسالة ١٩٩٣م .

٤٥. المعجب في تلخيص اخبار المغرب : عبد الواحد المراكشي : لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة ١٩٦٣م.
٤٦. المغرب في حلي المغرب لأبن سعيد ، تحقيق ،د/ شوقي ضيف ، دار المعارف مصر ١٩٦٤م.
٤٧. نصوص من الأدب الأموي . د/ حسين مطوان ، دار المسيرة للنشر والتوزيع ط ٢٠٠٦م.
٤٨. نظرية التصوير الفني : د/ صلاح غبد الفتاح الخالدي ، ط حطين الأدرن .
٤٩. نيل الابتهاج لطريز الديباج : أحمد بابا التنبكتي ، تحقيق د/ علي عمر نكتبة التقافة الدينية ، القاهرة ٢٠٠٤م.
٥٠. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب : للمقري ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد – مطبوعات – دار الكتب العربي – بيروت ١٩٤٩م.
٥١. نمازج من الشعر الأندلس ،د/ عبد المجيد عابدين ، دار الفكر . بيروت.
٥٢. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبن خلكان .
٥٣. الوافي بالوفيات : خليل بن ابيك الصفدي ، دار أحياء التراث العربي – بيروت ٢٠٠٠م.
٥٤. يتيمة الدهر : للثعالبي دار الكتب العلمية – بيروت لبنان ط ١ ١٩٨٣م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
الآية	أ
الإهداء	ب
الشكر والتقدير	جـ
المقدمة	د–ح
التمهيد : اهم فنون الشعر وإتجاهاته في الأندلس	١–٥
الفصل الأول: الزهد في الشعر	٦
المبحث الأول: معني الزهد لغة واصطلاحاً	٧–٨
المبحث الثاني: موقع الزهد في الرؤية الدينية للحياة	٩–١٣
المبحث الثالث: تطور الزهد في العصر الأموي	١٤–١٧
المبحث الرابع: اكتمال شعر الزهد ونضجه في العصر العباسي	١٨–٢٤
الفصل الثاني: البيئة الأندلسية وأثرها في ظاهرة الزهد	٢٥
المبحث الأول: طبيعة الأندلس وجغرافيته البشرية	٢٦–٣١
المبحث الثاني: كثرة علماء الشريعة وقوة سلطانهم على الخلفاء والعامة	٣٢–٣٨
المبحث الثالث: النزاع والتناحر القبلي والطائفي	٣٩–٥٠
المبحث الرابع: فناء الدول والمدن وأثره في الزهد	٥١–٥٧
الفصل الثالث: عناصر شعر الزهد عند الأندلسيين	٥٨
المبحث الأول: عدم الركون إلي الدنيا والتقليل منها	٥٩–٦٧
المبحث الثاني: فكرة الموت والدعوة للاستعداد له	٦٨–٧٧
المبحث الثالث: الخوف من الله واجتناب سخطه	٧٨–٨٣

المبحث الرابع: الحث على العلم الديني والانصراف عن الملذات	٨٤-٨٨
المبحث الخامس : أخذ العبرة من تجارب الآخرين	٨٩-٩٤
الفصل الرابع: الصورة الفنية في شعر الزهد عند الأندلسيين	٩٥
المبحث الأول: عناصر الصورة الفنية في شعر الزهد	٩٦-١٠٦
المبحث الثاني: الاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف والأمثال	١٠٧-١٢٠
الخاتمة	١١٩
النتائج التوصيات	١٢٠
الفهارس العامة	١٢١
فهرس الآيات	١٢٢-١٢٤
فهرس الأحاديث	١٢٥
فهرس القوافي	١٢٦-١٣٦
فهرس الأعلام	١٣٧-١٤٤
فهرس المصادر والمراجع	١٤٥-١٤٨
فهرس الموضوعات	١٤٩-١٥٠

فهرس القوافي

القافية	القائل	الصفحة
قافية الهمزة:		
بقاء	الأمير عبد الله	٦٠
فناء		
البلاء		
البكاء		
الأسماء		
قافية الباء:		
السرابا	أبو العتاهية	٢١
الضباب		
ذهابا		
ذهاب		
تراب		
شبابي		
باستلابي		
انقلاب		
سراب	السميسر	٢٢
يباب		
اضطراب		
عذاب		
جداب		
كتاب		

حساب		
جانب صائب ساكب ذاهب	ابن عبد ربه	٦١
الرقيب مشيب منيب القضيب الحبيب بالشحوب للغروب	الإلبيري	٧٥
الذاهب شوازب كتائبا قواضب	الإلبيري	٨٩
قافية التاء:		
وقتا حلمتا سجنتا طعمتا خلعتا شهدتا خلقتا	الإلبيري	٦٠

أمنتا	الإلبيري	٧٦
أطعتا		
وزنتا		
رحمتا		
رجعتا		
هلكتا		
حملت		
شتى		
أضعتا		
عقلتا	الإلبيري	٨٣
أمرتا		
ضللتا		
اغتربتا		
ذهبتا		
ضربتا		
كنتا		
سددتا		
اجتهدتا		
فتنتا		
كلفتا		
أخذتا		
سبقتا		
علمتا		

رأستا		
جهلتا	الإلبيري	٨٥
فهمتا		
كبرتا		
فقدتا		
شغلتا		
سفلتا		
طلبتا		
كتبتا		٨٦
هرمتا		
ما عديتا		
قرأتا		
جلستا		
ركبتا		
مواتي	لسان الدين بن الخطيب	٩٢
الآتي		
الغفلات		
الأفات		
ولدات		
حياة		
الأموات		

قافية الدال:

بددا	الأعمى التطليلي	٩١
لبدا		
أسدا		
غدا		
خالد	أبو العتاهية	٢١
عائد		
جاحد		
نفاد	أبو وهب القرطبي	٢١
زاد		
المراد		
اجتهاد		
حصاد		
المراد	أبي الحسن علي	٧١
المهاد		
النفاد		
البعاد		
مزاد		
الجواد		
فبادوا		
يزاد		
نهاد		
نعاد		

قافية الثاء:

عبثا وما ورثا غوضا ورث بحثا	عبد الله بن عمرة	١٦
قافية الحاء:		
الصوائح بنازح تمازح قادح	أبو نواس	٢٣
قافية الراء:		
الصور الظفر السمر السمر الغير الزهر من خبر ذا أثر من أثر المرر	ابن عبدون	١
شفير قصير	ابن عبد ربه	٥١

القبور		
المعير		
الغرور		
عذري	ابن حمديس	٦٦
هجري		
فجري		
عمري		
خسري		
جهري		
كسري		
فكري		
أصير	أبو الصلت	٨٠
يجور		
كثير		
جدير		
سرور		
العمر	أبو الصلت	٩٧
الفقر		
الدهر		
اليسر		
قافية العين:		
انقطاع	محمود الوراق	٢٠
اتساع		
ساع		

ارتفاع		
قافية الفاء:		
الكفاف	السميسر	٦١
عفاف		
إسراف		
قافية القاف:		
راق	ابن حذاق	١٩
أخلاق		
الباقي		
الخالق	محمد بن إبراهيم العامري	٨٧
الصادق		
ناطق		
لاحق		
أضيقا	الفرزدق	١٥
الفرزدقا		
موثقا		
تمزقا		
محرقا		
قافية الكاف:		
دواك	الإلبيري	٨٨
عصاك		
إلاك		

وغناك		
ثراك		
رداك		
دجاك		
قافية اللام:		
طويلا	أبو العتاهية	
سبيلا		
سئولا		
تمهل	منذر بن سعيد	
تذل		
أنزل	أبو عمران المارتلي	٣٦
تقبل		
تمطل		
لا يغفل		
فارحلوا		
تعجل		
أمهل		
أنقل		
الأمل	الأمير عبد الله	٦٩
نزل		
غفل		
الشغل		
لم يزل		

قافية الميم:		
مقام	الفرزدق	١٥
كلام		
تمام		
حمامي		
أمامي		
سلام		
بهم	عبد الله بن المبارك	١٩
النعم		
هجم		
ترحم	أبو إسحاق بن خفاجة	٧٣
مخيم		
فليسلم		
أسلم		
أعظم		
المترحم		
عدم	بكار بن داؤد المرواني	٧٧
الندم		
رحم		
علم		
الظلم		
الحمم		
تفهم	أبو بكر المغيلي	٩٠

تسلم		
أسهم		
تسأم		
تعلم		
عنهم		
منهم		
قافية النون:		
البنيان	عبد الرحمن الناصر	
الأزمان		
الشأن		
إنسان	أبو البقاء الرندي	٥٤–٥٥
أزمان		
شان		
خرصان		
غمدان		
تيجان		
ساسان		
قحطان		
ما كانوا		
وسنان		
الفتنا	أبو بكر الطرطوشي	٦٤
وطنا		
سفنا		

بنا	ابن أبي زمنين	٧٠
الخسنا		
سكنا		
رهنا		
المسننا		
حسنا		
شجون	الوزير المغربي	١١٨
سكون		
أكون		
مكان	الإلبيري	٦٨، ٦٩
سكان		
الركبان		
النقصان		